

شوقي أبو خليل

عمارة

بقية دة المقصم بالله محمد بن الرشيد

دار الفجر

دمشق - سورية



الكتاب ٧٩١

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والسمعي والماسوي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (١٩٩١) - برياً : لكر
ص.ب ٧٧٥ هاتفه ٢٦٦٠٢١ و ٢٦٦٦٦٤ - فاكس ٤١٢٣٤٥ P&R

الصف: التصويري : دار الفكر بدمشق
الطباعة (أوفست) : للطباعة العلمية بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَيْنُونَا
بِفَضْلِهِ الْكَرِيمِ

تصدير

الحمد لله ربّ العالمين وكفى ، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين
محمد الذي اصطفى ، وبعد :

إن من الثابت تاريخياً الصّلة بين بَابِكَ الحَرَمي وتيوقيل
إمبراطور الروم ، وهي صلة عدااء لهذه الأُمّة وحقد عليها وكيد لها ،
كان آخرها عندما سَيّر المعتصم بالله جيشه لمحاصرة « البَذْ » عاصمة
بَابِكَ ، فكتب بَابِكَ إلى تيوقيل يحثّه ويغريه بغزو الثُّغور والعواصم
العربيّة ، مستغلاً وجود جيش الخلافة العباسيّة حول « البَذْ » ،
وانشغاله في محاربة البابكيّين : « إنّ ملك العرب قد جهّز إلى جمهور
جيشه ، ولم يبقَ في أطراف بلاده من يحفظها ، فإن كنت تريد
الغنيمة فانقض سريعا إلى من حولك من بلاده فخذها ، فإنك لا تجد
أحداً يمانعك عنها » .

فهاجم تيوقيل زِبْطُرَة ، وأسر أهلها وخرّبها وأحرقها ، ثم مضى
من فوره إلى مَلْطِيَة مغيراً على أهلها ، وعلى أهل الثُّغور العربيّة

الإسلامية . وسبي من النساء المسلمات أكثر من ألف امرأة ، ومثل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وأنوفهم ، فكان الرد الحاسم فتح عمورية ، عندما علم المعتصم بصيحة الهاشمية التي نادى : وامعتصماه ، وامعتصماه .



وفي هذا الجزء من « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام » قدّمنا :
- سيرة المعتصم بالله ، أبي إسحاق ، محمد بن الرشيد ، ثامن الخلفاء العباسيين ؛ الخليفة الفارس ، والمقاتل الشجاع ، ذي الهمة والنخوة .
- وقضاء المعتصم على الحركة البابكية ، بعد فتح عاصمتها « البَدْ » ، وذلك سنة ٢٢٢ هـ .

- وكيف وضع المعتصم حداً لغدر تيوقيل ، الذي دمر زبطرة وملطية ، مستغلاً إحاطة الجيش العربي بالبَدْ ، وكيف هبَّ المعتصم ملبياً نداء الهاشمية ، ثائراً لها بتدمير عمورية ، وإتقاذها ومن معها من يد الروم البيزنطيين ، وهذا يذكرنا بقصيدة الشاعر العربي الكبير عمر أبي ريشة ، بعد نكبة ١٩٤٨ ، والتي مطلعها :

أُمِّي هَلْ لَكَ بَيْنَ الْأُمَمِ مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ
أَتَلَقَّكَ وَطَرَفِي مَطَرَقٌ خَجَلًا مِنْ أَمْسِكَ الْمَنْصَرَمِ

والتي جاء فيها :

(الإسرائيل) تعلو راية
كيف أغضيت على الذل ولم
أو ما كنت إذا البغي اعتدى
فيم أقدمت ؟ وأحجمت ؟ ولم
اسمعي نوح الحزاني واطربي
واتركي الجرحى تداوي جرحها
ودعي القادة في أهوائها
رَبَّ (وامعتصماه) انطلقت
لامست أسماعهم لكنهن
لا يلام الذئب في عدوانه
في حمى المهدي وظلَّ الحرم
تنفضي عنك غبار التهم
موجة من لهب أو من دم
يشنف الثأر ولم تنتقمي
وانظري دمع اليتامى وابسمي
وامنعي عنها كريم البلسم
تتفاني في خيس المغنم
ملء أفواه البنات اليتيم
لم تلامس بخوة المعتصم
إن يك الراعي عدو الغنم



فإلى أحداث عمورية على بركة الله ، فهو من وراء القصد ، وله
الحمد أولاً وآخرأ .

شوقي أبو خليل

دمشق : ١٥ رمضان المبارك ١٤٠٨ هـ
الموافق ١ أيار « مايو » ١٩٨٨ م

المعتصم بالله

☆ أهل بغداد للمعتصم : تحوّل عنا
والأقاتلناك ، قال : وكيف تقاتلونني
وفي عسكري ثمانون ألف دارع ؟!
قالوا : نقاتلك بسهام الليل ، وسهام
الأسحار ، فقال : لا طاقة لي بذلك .

إنّه أبو إسحاق محمد بن الرّشيد ، « المعتصم بالله »^(١) ، ولد سنة
١٧٨ هـ على أرجح الأقوال^(٢) ، أمّه أم ولد تركيّة اسمها ماردة بنت
شبيب ، كانت من أحظى الناس عند الرّشيد^(٣) .

بويع له في اليوم الذي كانت فيه وفاة أخيه المأمون
بطرسوس^(٤) ، يوم الخميس ١٢ رجب ٢١٨ هـ^(٥) ، وهو يومئذ ابن
ثمان وثلاثين سنة وشهرين .

(١) وهو أوّل من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى ، صبح الأعشى ٤٧٧/٥ ، مآثر الإنافة
٢٢/١ و ٢١٧

(٢) ومن المؤرخين من ذكر ولادته سنة ١٨٠ هـ .

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٧/٣ ، مروج الذهب ٤٦/٤ ، تاريخ الخلفاء ٣٣٣ ، العقد الفريد ١٢١/٥ ، مآثر
الإنافة ٢١٧/١

(٤) طرسوس : من الثغور في آسية الصغرى ، معجم البلدان ٢٨/٤

(٥) وفي قول : يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب ٢١٨ هـ .

وكان المعتصم « ذا شجاعة وقوة وهمة »^(١) ، فقوّته خارقة هائلة ، يحمل أرتطالاً تعجز عنها الرجال ويمشي بها خطوات ، ويثني الحديد مرات بعد عجز الأبطال عنه ، وهو فارس مقاتل من الطراز الأول ، ففرسان قريش ابتدأت بالحمزة بن عبد المطلب ، وانتهت بالمعتصم^(٢) .

ذكر أحمد بن أبي دؤاد^(٣) المعتصم يوماً فأسهب في ذكره ، وأكثر من وصفه ، وأطنب في فضله ، وذكر سعة أخلاقه وكرم أعراقه ، وطيب مركبه ، ولين جانبه ، وجميل عشرته ، ورضى أفعاله ، وقال : قال لي يوماً ونحن بعمورية : ماتقول يا أبا عبد الله في البسر^(٤) ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين نحن ببلاد الروم ، والبسر بالعراق ! قال : قد وجهت إلى مدينة السلام فجاؤوني بكباستين^(٥) ، وقد علمت أنك تشتهي ، ثم قال : يا ايتاخ ، هات

(١) تاريخ الخلفاء ٣٣٤ ، ابن خلدون ٢٥٦/٣ ، الكامل في التاريخ ٢٣١/٥ ، مروج الذهب ٥١/٤ ، وفيات الأعيان ٦٤/١

(٢) ففي « كتاب المنق في أخبار قريش » لمحمد بن حبيب البغدادي ، طبعة حيدرآباد ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ص ٥٢٨ تحت عنوان : فرسان قريش ، جاء الحمزة أولهم ، وانتهى المؤلف بالمعتصم « أمير المؤمنين » .

(٣) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي [١٦٠ - ٢٤٠ هـ = ٧٧٧ - ٨٥٤ م] ، قاضي قضاة المعتصم ، الأعلام ١٢٤/١

(٤) البسر : التمر قبل أن يُرطِبَ لغضاضه ، واحدته بُسرة ، [اللسان : بسر] .

(٥) الكباسة : العِذْق التّام بشماريخه وبُسره ، وهو من التمر بمنزلة : العُنُقود من العنب ، [اللسان : كبس] .

إحدى الكبّاستين ، فجاء بكباسة بسر ، فمدّ ذراعه وقبض عليها بيده ، وقال : كل بحياتي عليك من يدي ! فقلت : جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ! بل بعضها فأكل كما أريد ، قال : لا والله إلا من يدي . فوالله ما زال حاسراً ذراعه وماداً يده وأنا أجتني من العِذْق حتّى رمى به خالياً مافيه بسرة^(١) .

وكان ابن أبي دُوَاد يقول أيضاً : كان المعتصم يُخرج ساعده إلى ويقول : يا أبا عبد الله عض ساعدي بأكثر قوّتك ، فأقول : والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك ، فيقول : إنّه لا يضرني . فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان^(٢) .

وكان المعتصم مع هذا كله إنساناً شفوqاً ؛ قال المسعودي^(٣) : عبر المعتصم من مدينة سُرّ من رأى من الجانب الغربي - وذلك في يوم مطير ، وقد تبع ذلك ليلة مطيرة - وانفرد من أصحابه ، وإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك ، وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق ، وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر إنساناً يمرّ فيعيّنه على حمّله ، فوقف عليه ، وقال : مالك يا شيخ ؟ قال :

(١) تاريخ بغداد ٣/٣٤٥

(٢) تاريخ بغداد ٣/٣٤٦ ، مروج الذهب ٤/٥١ ، مآثر الخلافة ١/٢١٨ ، مختصر تاريخ دمشق

لابن عساكر ٢٣/٣١٧

(٣) مروج الذهب ٤/٥١

فديتك ! حماري وقع عنه هذا الحِمْلُ ، وقد بقيت أنتظر إنساناً
يعينني على حمله ، فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين ، فقال
الشيخ : جعلت فداك ! تفسد ثيابك هذه وطيبك الذي أشمّه من
أجل حماري هذا ؟ قال : لا عليك ، فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة
وأخرجه من الطين ، فبهت الشيخ وجعل ينظر إليه ويتعجب منه ،
ويترك الشغل بحماره ، ثم شدَّ عنان فرسه في وسطه ، وأهوى إلى
الشوك وهو حُزْمَتَان فحملهما فوضعهما على الحمار ، ثم دنا من غدير
فغسل يديه واستوى على فرسه . فقال الشيخ : رضي الله عنك ،
فديتك يا شاب ! وأقبلت الخيولُ ، فقال لبعض خاصته : أعطِ هذا
الشيخ أربعة آلاف درهم ، وكن معه حتّى تجاوز به أصحاب
المسالح^(١) ، وتبلغ به قريته^(٢) .

ويقال للمعتصم : « الْمُثَمَّن » لأن أموره كلها جرت على ثمانية ؛

(١) المسالح : مواضع [اللسان : سلح] .

(٢) وعلق المستشرق ميور في كتابه «The Caliphate P.519» على عمل المعتصم هذا ، موازناً
بينه في هذا العمل ، وما فعله في عمورية ، فقال : « ولقد رأى المعتصم من الشرف أن
يضحي بمدينة زاهرة يبلغ سكانها مئتي ألف نسمة ، وتقدر ثروتها بالملايين ، ومع ذلك فقد
نزل هذا الخليفة عن صهوة جواده ، ولوث رداءه ، ليخلص شيخاً ضعيفاً وقع حماره في حفرة
من الطين ، وأي هذه الأفعال قد ذكرها بالسُرور والغبطة حين ناداه ملك الموت ؟ »
[تاريخ الإسلام ٧٩/٢] ، ونسي ميور أن عمل المعتصم بعمورية معاملة بالمثل لما فعله الروم
بزيطرة .

فهو ثامن الخلفاء من بني العباس ، والثامن من ولد العباس^(١) ،
وثامن أولاد الرشيد ، ومَلَكَ سنة ثمانى عشرة ومئتين ، ودامت خلافته
ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، ومولده سنة ثمان وسبعين ومئة ،
وعاش ثمانياً وأربعين سنة ، وطالعه (العَقْرَبُ) وهو ثامن بُرْج ،
وفتح ثمانية فتوح ، وقتل ثمانية أعداء ، وخلف ثمانية أولاد ، ومن
الإناث كذلك ، ومات في سُرٍّ من رأى لثمان بقين من ربيع الأول^(٢) .

وأحبّ المعتصم العماره ، وكان يقول : إنَّ فيها أموراً محموده ،
فأولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر
الأموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويكثر الكسب ،
ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : إذا وجدت
موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهماً
فلا تؤامرني فيه^(٣)

وله شعر لا بأس به ، وكلمات فصيحة ، منها : إذا نصر الهوى
بطل الرأي ، من طلب الحق بما له وعليه أدركه ، وقال عند

(١) فهو : المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن النصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٢) مآثر الإنافة ٣/٢٥٨ ، تاريخ بغداد ٣/٢٤٢ ، العقد الفريد ٥/١٢١ ، تاريخ الخلفاء ٢٣٤ ،

شذرات الذهب ٢/٦٢ ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣/٢١٤

(٣) مروج الذهب ٤/٤٧

احتضاره : اللهم إنك تعلم أني أخافك من قبلي ، ولا أخافك من قبلك ، وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلي^(١) .

غير أنه إذا غضب لا يبالي من قتل .

وكان يقول : قد علمت أني دون إخوتي في الأدب ، لحب أمير المؤمنين لي ، وميلي إلى اللعب وأنا حدث ، فلم أنل مانالوا . وسبب ذلك أنه كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد مات غلامك ، فقال : نعم يا سيدي واستراح من الكتاب ، قال الرشيد : وإن الكتاب ليبلغ منك هذا المبلغ ؟! دعوه حيث انتهى ، لا تعلموه شيئاً^(٢) ، لذلك ورد : « كان يكتب كتابة ضعيفة ، ويقراً قراءة ضعيفة » ، وإن ورد في مصادر أخرى : « وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب » ، كما في مآثر الإنافة في معالم الخلافة (٢١٨/١) : كان أمياً لا يحسن الكتابة ، ضعيف البصر بالعربية ، ويقال إن سبب ذلك أنه رأى جنازة بعض الخدم يوماً فقال : ليتني مثل هذا حتى أتخلص من الكتاب ، فقال له أبوه الرشيد : والله لا عذبتك بشيء تختار عليه الموت . ومنعه عن الكتاب منذ يومئذ .

(١) تاريخ الخلفاء ٣٣٦ و ٣٣٧

(٢) تاريخ بغداد ٢٤٣/٥

وفي العقد الفريد (٤٤٠/٢) : قال هارون الرّشيد لابنه المعتصم :
ما فعل وصيفك ؟ قال : مات فاستراح من الكتّاب ، قال : أو بلغ
منك الكتّاب هذا المبلغ ؟ ! والله لا حضرته أبداً ، ووجهه إلى
البادية ، فتعلّم الفصاحة ، وكان أمياً^(١) .

والمعتصم أوّل من أكثر من شراء الغلمان الأتراك ، لاستخدامهم في
الحرس والجيش ، وكان أخوه المأمون قد سبقه إلى ذلك ، ولكن على
نطاق ضيق ، وبني سرّ من رأى بعد أن أساء هؤلاء الغلمان الأتراك إلى
الناس كثيراً^(٢) ، فشكا أهل بغداد ذلك للمعتصم ، وقالوا له : تحوّل
عنا وإلا قاتلناك ، قال : وكيف تقاتلوني وفي عسكري ثاثون ألف
دارع ! قالوا : تقاتلك بسهام الليل ، وسهام الأسحار ، فقال :
لا طاقة لي بذلك^(٣) .

وركب يوم عيد ، فقام إليه شيخ فقال له : يا أبا إسحاق ،
فقال : يا شيخ ، مالك مالك ؟ قال : لا جزاك الله عن الجوار
خيراً ، جئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك ، فأسكنتهم بيننا ،
فأيتمت صبياننا ، وأرملت بهم نسواننا ، وقتلت رجالنا . والمعتصم

(١) ومع ذلك ، قال إبراهيم بن العباس : كان المعتصم إذا تكلم بلغ ماأرادَه وزاد عليه .

(٢) الكامل في التاريخ ٢٣٦/٥ ، تاريخ الخلفاء ٣٣٥ . قال ابن خلدون ٢٥٧/٣ : « وربما انفرد بعضهم - بعض العسكر الأتراك - فقتلوه » .

(٣) النجوم الزاهرة ٢٣٣/٢ ، معجم البلدان ١٧٤/٣ ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣١٩/٢٣

يسمع ذلك ، فبعد أن صلى بالناس العيد ، لم يدخل بغداد ، بل سار إلى ناحية القاطول^(١) ، بعد أن سأل : أين كان الرشيد يتنزه إذا ضجر من المقام ببغداد ؟ قالوا : بالقاطول . وكان ابتداء العمارة بسر من رأى سنة إحدى وعشرين ومئتين للهجرة^(٢) .

وكان نقش خاتمه : الله ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن^(٣) .

وكانت وصية المأمون لأخيه المعتصم : احمل الناس على القول بخلق القرآن^(٤) ، والخرميّة فاغزهم بقوة وحزم وجلّد ، واحشد لهم الأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ، « فإن طالّت مدّتهم فتجرّد لهم بمن معك من أنصارك وأولياك ، واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجياً ثواب الله عليه » .

لذلك انصبّت جهود المعتصم ، وأموال الخلافة ، على قضية الدولة الأولى ، ألا وهي قطع مقلب بابك ، وبتر يده ، فكان يخشى أن تطول فتنته لتعمّ بلاد فارس .

(١) القاطول : نهر على سامراء كان احتفروه الرشيد ، وبني عليه قصراً .

(٢) سميت « سر من رأى » العسكر لأن المعتصم سكنها بعسكره [تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٦] ، أو العسكرية أيضاً كما في [وفيات الأعيان ٢/ ٩٥] .

(٣) مآثر الإنافة ١/ ٢١٩ ، العقد الفريد ٥/ ١٢١ ، وفي تاريخ الخلفاء ٣٣٧ : نقش خاتمه « الحمد لله الذي ليس كمثل شيء »

(٤) مروج الذهب ٤/ ٥٢ ، مآثر الإنافة ١/ ٢٢٠ ، (وكان المعتزلة يقولون بذلك) .

بَابُكَ الْخُرْمِي

وَالْخُرْمِيَّة

☆ « من أبطال زمانه وشجعانهم ،
عاش في البلاد وأفسد ، وأخاف
الإسلام وأهله ، وغلب على أذربيجان
وغيرها ، وأراد أن يقيم مِلَّة
المجوس » .

بدأت حركة بَابُكَ الْخُرْمِي^(١) أيام خلافة المأمون ، وذلك سنة
٢٠١ هـ ، وَالْخُرْمِيَّة : فرقة متطوّرة عن المزدكية^(٢) ، تؤمن بصراع
إله الخير وإله الشر . ادّعى بَابُكَ أن روح جاويدان^(٣) حلّت فيه ،

(١) بَابُكَ بن بهرام ، جاء في البداية والنهاية ٢٨٢/١٠ : « وكان زنديقاً كبيراً ، وشيطاناً رجياً » .
(٢) المزدكية - هم أتباع مزدك الذي عاش في أيام قباد والد أنوشروان ، وأحلّ النساء وأباح
الأموال ، وجعل الناس شركاء فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ « الملل والنحل ٢٤٩/١ » -
تطوّرت عن الزردشتية والمناوية ، وتعتقد الزردشتية أن للوجود إلهين « إله الخير ، وإله
الشر » يتنازعان ، ثم دعا ماني إلى فناء الجنس البشري لأن الإنسان لعنة في الأرض ،
والخطيئة باقية ببقائه .

(٣) كان بَابُكَ يقوم بخدمة جاويدان بن سهر ك أحد رؤساء الخرمية ، وتفسير جاويدان : الدائم
الباقى ، ومعنى خرم : الفرج ، ولما توفي جاويدان أقامت امرأته بَابُكَ مكانه ، وادّعت أن
روحه حلّت في جسد بابك ، وأوعزت إلى من حولها بوجوب طاعته ، ثم تزوجت منه ،
« تاريخ الإسلام ١٠٨٧٢ ، الكامل في التاريخ ١٨٤/٥ » .

وأخذ في العبث والفساد في بلاد الرّان ومنطقة أذربيجان ، متّخذاً من قلعة البَدّ مقراً له .

ولم يكن بابك رجلاً عادياً ، لقد وُصِفَ بأنه « من أبطال زمانه وشجعانهم ، عاث في البلاد وأفسد ، وأخاف الإسلام وأهله ، وغلب على أذربيجان وغيرها ، وأراد أن يقيم ملّة المجوس »^(١) ، ومع ادعائه الألوهية ، أراد تحويل الملّك من العرب المسلمين إلى الفرس ، فأثار ومن تبعه حرباً شعواء على الإسلام والعرب .

سَيّر المعتصم أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل ، وأمره أن يبني الحصون الّتي خربها بابك في المنطقة ، فأعاد بناءها ، وشحنها بالرجال والأقوات لحفظ الطريق لمن يحمل الميرة إلى المنطقة^(٢) ، وتنبّه بابك إلى سلامة خطوة المعتصم هذه ، فوجّه سرّيّة أغارت على بعض النّواحي ، ولكن أبا سعيد اعترضها ، وقتل من الخُرّمية جماعة ، وأسر منها جماعة ، « فهذه أوّل هزيمة كانت على أصحاب بابك »^(٣) . وكانت الخطوة التالية لمحمد بن البعيث ، الذي كان في قلعة له

(١) النجوم الزاهرة ٢/٢٣٦ ، وفي ص ٢٣٨ : « وكان بابك يقول بتناسخ الأرواح ، ويستحلّ البنتَ وأمها » ، وفي الكامل في التاريخ ٥/١٨٤ : « والرجل منهم ينكح أمّه وأخته وابنته ، ولهذا يسمونه دين الفرج ، ويعتقدون بمذهب التناسخ ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره » .

(٢) الطبري ٩/١١ ، الكامل في التاريخ ٥/١٨٤ ، ابن خلدون ٣/٢٥٨ ، المسعودي ٤/٥٥

(٣) الطبري ٩/١٢

حصينة تسمى « شاهي »^(١) ، وكان يتظاهر بالطاعة لبابك ، رهبة من قوّته وسطوته ، لا قناعة بفكره ومذهبه ، فإذا تحركت سرايا بابك نزلت عنده ، فيحسن ضيافتها ، حتّى أمنوه ، فسير بابك رجلاً من أصحابه المقرّبين ، يقال له عصمة^(٢) في سرّيّة ، فنزل بابن البعيث ، فأرسل إليه ابن البعيث - على عادته المعهودة - الغنم والأرزاق .. وبعث إلى عصمة أن يصعد إليه في قلعتة ، مع خاصّته ونخبة أصحابه ، فصعد ليشهد مأدبة تليق به ، وسقاه ابن البعيث ومن معه حتى أسكرهم ، ثم وثب على عصمة فأوثقه ، وقتل كلّ من كان معه من أصحابه ، وأمره أن يسمّي رجلاً رجلاً من أصحابه باسمه ، فكان يدعى بالرجل باسمه فيصعد ، ثم يأمر به فيضرب عنقه ، حتّى علموا بذلك فهربوا ، ووجّه ابن البعيث بعصمة إلى المعتصم .

وفي سامراء ، سأل المعتصم عصمة عن مسالك المنطقة التي يسيطر عليها بابك ، فأعلمه بطرقها وشعابها^(٣) :

وفي سنة ٢٢٠ هـ سير المعتصم الأفشين^(٤) لقتال بابك ، وجهّزه

(١) قلعة في شمالي شرق العراق ، لم نعثر عليها في معجم البلدان ، ولا في الروض المعطار .

(٢) في اليعقوبي ٤٧٣/٣ : « ثم مكر بعصمة الكردي صاحب مرند » .

(٣) « ثم لم يزل عصمة محبوساً إلى أيام الواثق » .

(٤) الأفشين : حيدر بن كاوس الآشروسي ، والأفشين لقب لملوك أشروسنة ، وأشروسنة : كورة من بلاد ماوراء النهر ، شرقيها فرغانة ، وغربيها سمرقند ، وشماليها الشّاس وبعض فرغانة ، وجنوبيها بعض حدود كش .. ومدينتها التي يسكنها الولاة « بنجكت » .

بالرجال والمال الوفير ، وفي أذربيجان كان الأفشين « إذا وقع بيده أحد من جواسيس بَابَك يسأله عن إحسان بَابَك إليه ، فيضاعفه ويطلقه »^(١) ، « ولكن يهب لهم ويصلهم ويسألهم ما كان بَابَك يعطيهم فيضعفه لهم ، ويقول للجاسوس : كن جاسوساً لنا »^(٢) .

وجرت موقعة بين الأفشين وبَابَك بجبل « أُرْشَق »^(٣) ، قتل فيها الأفشين من أصحاب بَابَك خلقاً كثيراً ، وهرب بَابَك إلى مَوْقان ثم إلى حاضرتة البَذَّ ، وكان سبب هذه الموقعة أن المعتصم وجَّه مع بُغَا الكبير مالاً إلى الأفشين ، عطاءً لجنده وللنفقات ، فقدم بغا بذلك المال إلى أردبيل ، فلما بلغ بَابَك وأصحابه خبره ، تهيأ ليقطع على بغا قبل أن يصل إلى الأفشين^(٤) .

وقدم جاسوس على الأفشين ، وأخبره أن بُغَا قد قدم بمال ، وأن بَابَك وأصحابه تهيؤوا ليقطعوا عليه طريقه ، قبل وصوله إليك .

واستوثق الأفشين من الخبر ، فحذَّر بُغَا ، وركب لملاقاة بَابَك ومن معه . وتمكَّن الأفشين أن يفوَّت عليه خطُّته ، « فلم يفلت من

(١) ابن خلدون ٢٥٨/٣

(٢) الطبري ١٣/٩

(٣) أُرْشَقُ : جبل بأرض مَوْقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بَابَك الخُرْمي ، « معجم البلدان ١٥٢/١ » .

(٤) الطبري ١٤/٩ ، الكامل في التاريخ ٢٣٧/٥

رجالَة بَابَك أَحَد ، وَأَفْلَت هُو فِي نَفَر يَسِير مِنْ خِيَالْتَه «^(١) .

وَصَلَ الْمَال إِلَى الْأَفْشِينَ ، فَأَعْطَى الْجَنْدَ عَطَاءَهُمْ ، وَتَجَهَّزَ سَنَةَ ٢٢١ هـ لِلسَّيْرِ إِلَى الْبَدِّ ، فَسَيَّرَ بُغَا قَبْلَهُ ، ثُمَّ أَمَدَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْزُوا بَابَكَ فِي يَوْمٍ حَدَّدَهُ لَهُ ، « وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَغْزَوْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِينَهُ »^(٢) ، وَلَكِنْ سَوَّءَ الْحَالَةُ الْجَوِّيَّةُ مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ، « وَسَاءَتْ حَالُ الْجَنْدِ ، فَفَرَّقَ الْأَفْشِينَ النَّاسَ فِي مَشَاتِيهِمْ تِلْكَ السَّنَةَ ، حَتَّى جَاءَ الرَّبِيعُ سَنَةَ ٢٢٢ هـ »^(٣) .

وَاسْتَطَاعَ الْأَفْشِينَ فِي شَتَاءِ ٢٢١ هـ تَرْصُدَ قَائِدِ لِبَابَكَ اسْمَهُ طَرْخَانَ ، الَّذِي كَانَ عَظِيمَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ بَابَكَ ، وَالَّذِي كَانَ يَشْتَوِي فِي قَرْيَةٍ لَهُ بِنَاحِيَةِ الْمَرَاغَةِ^(٤) ، فَكَتَبَ الْأَفْشِينَ لِبَعْضِ رِجَالِهِ^(٥) ، أَنْ يَقْتُلَ طَرْخَانَ ، أَوْ يَبْعَثَ بِهِ إِلَيْهِ أَسِيرًا ، فَقَتَلَهُ وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَفْشِينَ .



(١) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ٢٣٥/٥

(٢) الطَّبْرِي ٢٤/٩

(٣) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ٢٣٩/٥

(٤) مَرَاغَةُ : أَعْظَمُ وَأَشْهَرُ بِلَادِ أَذْرَبَيْجَانِ ، « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٩٣/٥ » .

(٥) وَاسْمُهُ « تُرْك » ، وَهُوَ مَوْلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَصْعَبٍ ، الطَّبْرِي ٢٨/٩ ، ابْنُ خَلْدُونِ

٢٥٩/٣ ، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ٢٣٩/٥

فَتْحُ الْبَدِّ

☆ « يَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَا تَحْرَمْنَا
شَهَادَةً إِنْ كَانَتْ قَدْ حَضَرَتْ ، وَإِنَّا
قَصَدْنَا وَطَلَبْنَا ثَوَابَ اللَّهِ وَوَجْهَهُ ،
فَدَعْنَا وَحَدَّنَا حَتَّى نَتَقَدَّمَ بَعْدَ أَنْ
يَكُونُ بِإِذْنِكَ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَ
عَلَيْنَا » .

وفي ربيع سنة ٢٢٢ هـ ، وَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ جَعْفَرًا الْخِطَاطَ بِالْعَسَاكِرِ
وَالْمَالِ . وَكَانَ فَتْحُ الْبَدِّ^(١) - مَدِينَةُ بَابِك - يَوْمَ الْجُمُعَةِ ٢٠ رَمَضَانَ
٢٢٢ هـ^(٢) .

وَمِنَ الْمَلَا حِظْ ، أَنَّ الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ وَضَعَتْ تَحْتَ إِمْرَةِ الْأَفْشِينِ
- وَهُوَ خَيْرٌ قَوَادِمَا - كَامِلَ إِمْكَانَاتِهَا الْمَادِيَّةِ ، وَحَشَدَتْ لِبَابِكِ كُلَّ
طَاقَاتِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ تَأَخَّرَ الْفَتْحُ ، لَقَدْ عَرَقَلَ سُرْعَةَ الْقَضَاءِ عَلَى بَابِكِ
أَمْرَانِ :

(١) بَدُّ : (بِتَشْدِيدِ الذَّالِ الْمَعْجَمَةِ) كَوْرَةُ بَيْنَ أَفْرِيجِيَّانِ وَأَرْزَانَ ، « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٣٦١ » .

(٢) ٢٦ نَيْسَانَ سَنَةِ ٨٣٧ م كَانَ فَتْحُ الْقَلْعَةِ « دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ » ٢/٢٤٦

أ - وعورة المنطقة ، ومنعة حصونها ، وطبيعة الأرض التي تساعد على إقامة الكائن : « وكان بَابَك إذا أحسَّ بمجيئهم وجَّه جمعاً من أصحابه ، فيكنون في واد .. » ^(١) ، « وكان يفرِّق عساكره كميناً ، ولم يبق إلا في نفر يسير » ^(٢) ، « وكان يعلم أن بَابَك يكن تحت ذلك الجبل » ^(٣) . واجتهد الأفشين أن يعرف مكان كمين بَابَك ، فلم يعلم بهم .. « ووثب كمين بَابَك ببشير التُّركي والفراغنة فحاربوهم .. » ^(٤) .

إذاً طبيعة الأرض الجبلية ، ومسالكتها الصعبة ، سهَّلت على بَابَك بثَّ الكائن لمفاجأة الأفشين وجنده ، وعرقلة تقدُّمهم ، وإيقاع الخسائر الكبيرة بين صفوفهم .

٢ - المناخ البارد المطير ، « فلم يكن للنَّاس عليها صبر لشدَّة البرد وشدة الريح » ^(٥) ، « فجاءهم في تلك اللَّيلة سحاب وبرد ومطر وثلج كثير فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من الجبل يأخذ ماء ، ولا يسقي دابة من شدة البرد ، وكثرة الثلج ، وكأنَّهم كانوا في ليل من شدة الظُّلْمَة والضباب » ^(٦) .

(١) الكامل في التَّاريخ ٢٤٠/٥

(٢) الكامل في التَّاريخ ٢٤٤/٥

(٣ و٤) الكامل في التَّاريخ ٢٤٣/٥

(٥) الكامل في التَّاريخ ٢٣٨/٥ ، الطُّبري ٢٤/٩

(٦) الطُّبري ٢٥/٩

لذلك كانت الحرب تنشب بعد انتضاء فصل الشتاء ، فالثلوج كانت تمنع المشاة من التّقدم .

ورأى الأفشين أن الحلّ تضيق الحصار على بابك ، وقطع المؤونة والمدد عنه ، لذلك ورد : « فلما كان في بعض الأيام ، ضجرت الخُرْمِيَّة من المطاولة »^(١) . وضجر جند الأفشين أيضاً ، ولجّوا عليه في التّقدم ، وجاء رجل من المتطوّعة ، ومعه صخرة فقال للأفشين : أتردنا ، وهذا الحجر أخذته من السُّور ؟ فقال : إذا انصرفت عرفت مَنْ على طريقك - يعني الكمين - ، وقال لجعفر : لو ثار هذا الكمين الذي تحتك ، كيف كنت ترى هؤلاء المتطوّعة ؟ فالأفشين على يقين بما يعمل ، فلو تحرّك هذا الكمين لهلك المسلمون عن آخرهم . لذلك سار ببطء وتؤدة ، وكانت علامته في المسير والوقوف ضرب الطُّبول لكثرة الناس ، ومسيرهم في الجبال والأودية ، فإذا سار ضربها ، وإذا وقف أمسك عن ضربها فيقف الناس جميعاً^(٢) .

لقد سار الأفشين محترساً ، ورتّب أموره أدقّ ترتيب ، وأخذ يدنو من البَدْ ببطء وحذر شديد ، فقال الجند : أقدم بنا ، فإمّا لنا ، وإمّا علينا ، فقال للمتطوّعة : مَنْ صبر منكم فليصبر ، ومن لم

(١) الكامل في التّاريخ ٢٤١/٥

(٢) الكامل في التّاريخ ٢٤٠/٥

يَصْبِرُ فَالطَّرِيقُ وَاسِعٌ فَلْيَنْصَرِفْ بِسَلَامٍ ، فِي جَنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الْمُعْتَصِمِ الْكَفَايَةِ ، أَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُونَ حَقٌّ ، وَلَكِنْ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي بِهَذَا ، وَلَا أَجِدُ مِنْهُ بَدَأً^(١) ، فَانْصَرِفِ الْمَتَطَوِّعَةَ وَهُمْ
يَقُولُونَ : وَهَذَا لَا يَشْتَهِي إِلَّا الْمَاطِلَةَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
لَا تَحْرِمْنَا شَهَادَةً إِنْ كَانَتْ قَدْ حَضَرَتْ ، وَإِنَّمَا قَصَدْنَا وَطَلَبْنَا ثَوَابَ اللَّهِ
وَوَجْهَهُ ، فَدَعْنَا وَحْدَنَا حَتَّى نَتَقَدَّمَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بِإِذْنِكَ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ
أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْنَا^(٢) .

فَقَالَ الْأَفْشِينُ : إِنِّي أَرَى نِيَاتَكُمْ حَاضِرَةً ، وَأَحْسِبُ هَذَا الْأَمْرَ
يُرِيدُهُ اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ نَشِطْتُمْ وَنَشِطَ النَّاسُ ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ مَا كَانَ هَذَا رَأْيِي ، وَقَدْ حَدَثَ السَّاعَةُ لَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِكُمْ ،
وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَرَادَ هَذَا الْأَمْرَ وَهُوَ خَيْرٌ ، اعْزَمُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ أَيَّ
يَوْمٍ أَحْبَبْتُمْ حَتَّى نَنَاهِضَهُمْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَأَرَادَ الْأَفْشِينُ أَنْ يَثْبِتَ لَهُمْ أَنَّ إِيحَاهُمْ خَطَأً ، وَالتَّضْيِيقَ عَلَى
بَابِكَ فِي الْبَدْءِ هُوَ الصَّوَابُ ، وَأَنَّ الْفَتْحَ لَمْ يَحْنِ مُوَعَدُهُ بَعْدَ ؛ فَزَحَفَ
النَّاسُ - كَمَا أَرَادُوا وَيُأْذِنُ الْأَفْشِينُ - حَتَّى وَصَلُوا الْبَدْءَ ، وَأَمَدَّهُمُ الْأَفْشِينُ
بِمَا أَرَادُوا وَشَاؤُوا مِنَ النَّاشِئَةِ وَالنَّفَاطِينِ ، وَاشْتَبَكُوا مَعَ الْخُرْمِيَّةِ ،

(١) وفي الكامل ٢٤٠/٥ : « فلم يلبث أن جاءه كتاب المعتصم يأمره أن يفعل كما كان يفعل » .

(٢) الطبري ٣٨/٩ ، ابن خلدون ٢٦٠/٣ ، الكامل في التاريخ ٢٤٢/٥

وطيف عليهم بالمياه والأزواد ، وطرح الخرمية على المتطوعة من أعالي أسوارهم الحجارة ، فنالت منهم ، وبعد قتال شديد ، أيسوا من الفتح عندما طالت الحرب على باب أسوار البذ ، وفتحت الخرمية الباب ، وخرجوا على المتطوعة فنحوهم عنه ، فانصرف أكثرهم^(١) .

وتابع الأفشين خطته ؛ السير قليلاً قليلاً كلما جاءته عيونه^(٢) بخبر سارّ تقدّم ، أو توقّف وانتظر الفرص المناسبة في خنادق كان يأمر بحفرها ، واستطاع بعد أيّام إرسال كتائبه ليلاً لتحيط بالبذ من كلّ ناحية ، وجعل لها شارات وأعلاماً ، وأمرهم ألا يعلم بهم أحد ، وأن يكمّوا ، حتّى إذا رأوا أعلامه وتقدّمه ، ضربوا الطبول ، وانحدروا إلى البذ ، ورمّوا بالنشاب والصّخر على الخرمية ، وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحرّكوا حتّى يأتهم خبره^(٣) ، وبدأت المعركة الفاصلة بأمر الأفشين على أبواب البذ وأسوارها .

لقد حقّق الأفشين مراده ، عندما أحرق بيابك وضيق عليه من كلّ الجهات ، وأدهش بابك إحكام الحصار عليه ، فخرج من البذ من باب يقع قبالة مقرّ قيادة الأفشين ، وأقبل عليه في جماعة معه ،

(١) الكامل في التاريخ ٢٤٢/٥

(٢) تتكرّر في الطبري كلمة « الكوهبانية » ، مفردها كوهباني ، وهم أصحاب الأخبار والاستطلاع والريادة .

(٣) الطبري ٤٢/٩ ، الكامل في التاريخ ٢٤٢/٥

يسألون عن الأفشين ، فركب الأفشين إليه ، ودنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه ، « فوافقه وبينهما نهر »^(١) ، والحرب مشتبكة في أطراف البَذِّ ، فقال بَابَك : أريد الأمان من أمير المؤمنين المعتصم .

الأفشين : قد عرضتُ عليكَ هذا ، وهو لكَ مبذولٌ متى شئت .
بَابَك : قد شئتُ الآن ، على أن تؤجلني أجلاً أحمل فيه عيالي وأتجهّز .

الأفشين : قد والله نصحتك غير مرّة ، فلم تقبل نصيحتي ، وأنا أنصحك الساعة ؛ خروجك اليوم في الأمان خيرٌ من غد .

بَابَك : قد قبلت أيها الأمير ، وأنا على ذلك .

الأفشين : فابعث بالرّهائن الذين كنت سألتك .

بَابَك : نعم ، أمّا فلان وفلان فهم على ذلك التّل ، فمر أصحابك بالتّوقّف^(٢) .

وفي هذه اللحظة ، جاء من المسلمين من قال للأفشين : دخلت أعلامنا البَذِّ ، ورفعت فوق قصور بَابَك ، وإن الخرميّة تقاتل قتالاً شديداً ، فأحضر النّفاطون ، فجعلوا يهدمون القصور ، حتّى قتلوا الخرميّة عن آخرهم .

(١) اليعقوبي ٤٧٤/٢

(٢) الطبري ٤٤/٩ ، الكامل في التّاريخ ٢٤٣/٥

وأخذ الأفشين أولاد بَابَك ومن كان معهم في البَدِّ من عيالهم ، ولكن بَابَك وخواصه حملوا من الزَّاد ما أمكنهم حمله ، وحملوا أموالهم ونفائسهم وهربوا ، « ومضى بَابَك على بغلة وقد لبس ثياب الصوف »^(١) ، فكتب الأفشين إلى ملوك أرمينية وبطارقتها « يا ذكاء العيون عليه في نواحيهم ، حتَّى يأتوه به »^(٢) ، لأنَّه هرب ومن معه باتجاه بلادهم .

واختفى بَابَك في وادٍ كثيف العشب والشَّجر ، طرفه بأرمينية ، وطرفه الآخر بأذربيجان ، لا تستطيع الخيل نزوله ، ولا يُرى من يستخفي فيه لكثافة غاباته ، وكثرة مياهه .

وبينما كان الأفشين يهدم قصور البَدِّ ويحرقها^(٣) - فعل ذلك ثلاثة أيَّام حتَّى أحرق خزائنه وقصوره ، ولم يدع فيها بيتاً ولا قصراً إلَّا أحرقه وهدمه - ورد كتاب أمير المؤمنين المعتصم وفيه أمان لبَابَك ، وجاءت عيون الأفشين إليه فأعلموه بموضع بَابَك ، وعيَّنوا بدقة « غَيْضَةً » التجأ إليها ، واختفى فيها .

(١) اليعقوبي ٤٧٤/٢

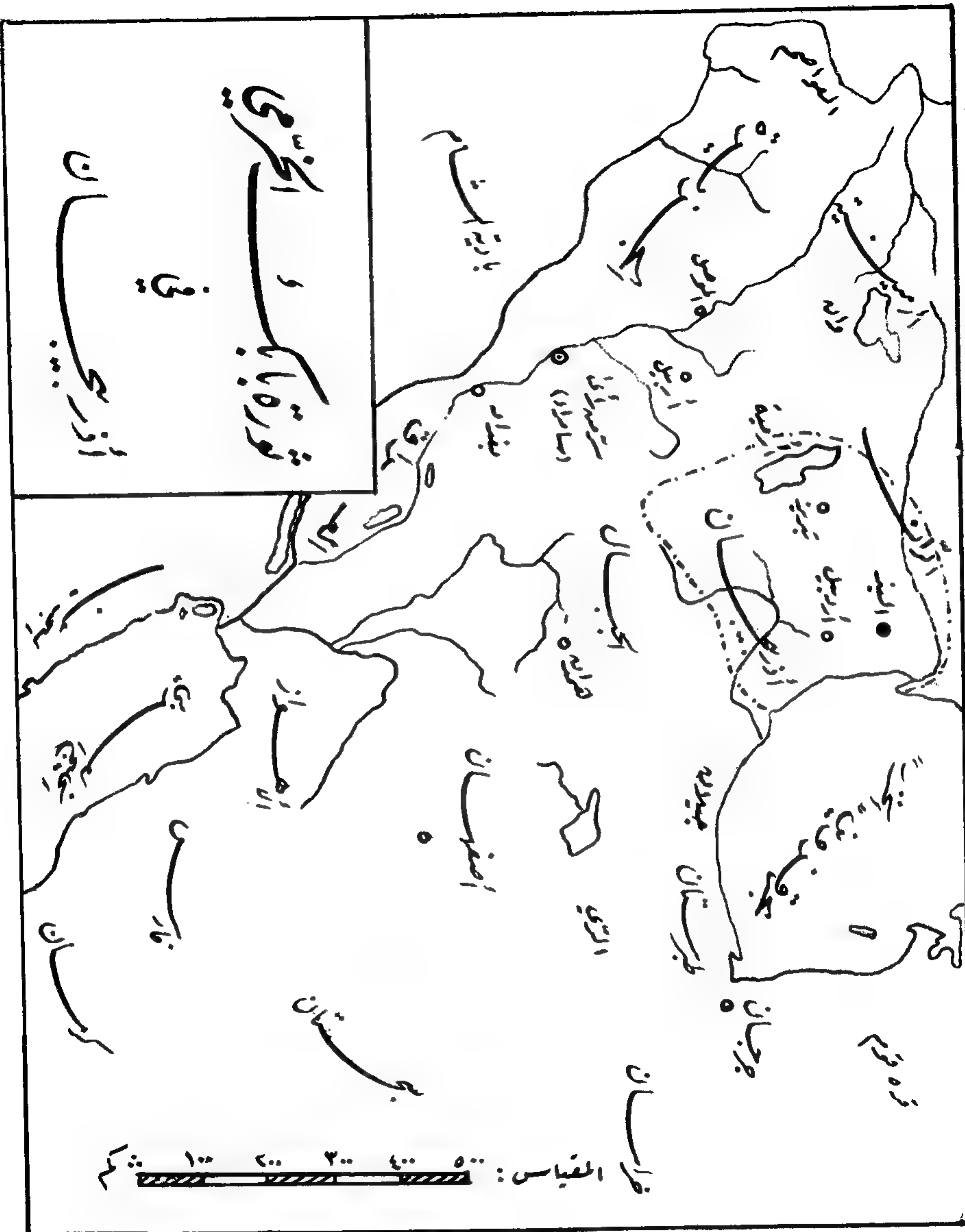
(٢) ابن خلدون ٢٦١/٣

(٣) قال الحسين بن الضحاك :

لم يَدْعُ بِالْبَدِّ مَنْ سَاكِنِهِ غير أمثالٍ ، كأمثالِ إرم
وقال أبو تمام :

فَالْبَدُّ أَغْبَرُ دَارِسُ الْأَطْلَالِ لَيْدِ الرَّدَى أَكُلٌ مِنَ الْأَكَالِ
وقال البحتري :

لِلَّهِ ذُرْكٌ يَوْمَ بَابَكِ فَارِساً بطلاً لأبوابِ الختوف قروعاً
حتَّى ظفرت بيذم فتركتَهُ للذُّلِّ جانبُهُ وكان منيعاً



مقیاس: ۰ ۱۰۰ ۲۰۰ ۳۰۰ ۴۰۰ ۵۰۰ کیلومتر

نورته بابا و اختری
فی
از

نِهَآيَةُ بَابِكَ

☆ قَد خُضِبَ الْفِيلُ كَعَادَتِهِ
يَحْمِلُ شَيْطَانًا خُرَاسَانِ
وَالْفِيلُ لَا تُخْضِبُ أَعْضَاؤُهُ
إِلَّا لِذِي شَأْنٍ مِنَ الشَّأْنِ

جاء كتاب المعتصم فيه أمان لبَابِكَ ، فدعا الأَفْشِينَ من كان استأمن إليه من أصحاب بَابِكَ ، وفيهم أكبر أولاده ، فقال لهم : هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين ، ولا أطمع له فيه أن يكتب إليه وهو في هذه الحال بأمان ، فمن يأخذه منكم ويذهب به إليه ؟ فلم يجسر على ذلك أحد منهم ، وقال بعضهم : أيُّها الأمير ، مافينا أحد يجترئ أن يلقاه بهذا .

فقال الأَفْشِينَ : ويحك ! إنه يفرح بهذا .

قالوا : أصلح الله الأمير ! نحن أعرف بهذا منك .

الأَفْشِينَ : فلا بدَّ لكم من أن تهبوا لي أنفسكم ، وتوصلوا هذا الكتاب إليه .

فقام رجلان أحدهما ابن بَابَك ، فقالا له : اضمن لنا أنك تجري على عيالاتنا ، فضمن لهما الأفشين ذلك^(١) . فسارا إليه ، إلى الغيضة التي حددتها العيون .

وامتنع بَابَك من قبول الأمان ، وقتل الرَّجل المرافق لابنه^(٢) ، وقال لابنه : قد صحَّ عندي السَّاعة فسادُ أمِّك الفاعلة ، يا ابن الفاعلة ، عسى أن أعيش بعد اليوم ! قد كنت باسم هذه الرياسة ، وحيثما كنت ، أو ذكرت ، كنت مَلِكًا ، ولكنك من جنس لا خير فيه ، وأنا أشهد أنك لست بابني ، تعيش يوماً واحداً وأنت أمير زعيم ، خير من أن تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل . فعاد ابنه برفض بَابَك وامتناعه عن قبول الأمان .

ورحل بَابَك من موضعه ، وسار ومن معه في الجبال مستخفياً يريد عبور إرمينية ، واجتازها من شرقها إلى غربها^(٣) ، ليلحق

(١) ابن خلدون ٢٦١/٣ ، الطبري ٣٦/٩ ، الكامل في التاريخ ٢٤٤/٥

(٢) في ابن خلدون : « فامتنع عن قبوله وقتل بعضهم » ، ويفهم من هذه العبارة أن الذين ساروا إلى بَابَك (جماعة) لا (اثنان) .

(٣) في الكامل في التاريخ ٢٤٤/٥ : « وقعد في موضعه ، فلم يزل في تلك الغيضة حتَّى فني زاده ، وخرج من بعض تلك الطرق ، وكان مَنْ عليه من الجند قد تنحَّوا قريباً منه وتركوا عليه أربعة نفر يحرسونه ، فبينما هم ذات يوم نصف النَّهار ، إذ خرج بَابَك وأصحابه ، فلم يروا العسكر ، ولا أولئك الذين يحرسون المكان ، فظنوا أن ليس هناك أحد ، فخرجوا ، وساروا يريدون إرمينية مستخفين ، فاحتاجوا إلى طعام .. » .

بجليفه تيوقيل إمبراطور بيزنطة ، وكان جميع أمراء إرمينية وخدامها
قد احتاطوا بنواحيهم وأطراف أراضهم وتحفظوا ، وأوصوا جندهم ألاّ
يجتاز عليهم أحد إلاّ أخذوه حتى يعرفوه ، فكان الجند والحراس
متحفظين متيقظين^(١) .

وأصاب بَابَكَ ومن معه الجوع ، وأشرف من مكانه فإذا هو
بمحراث يحرث على فدان له في بعض الأودية ، فقال لغلامه : انزل إلى
هذا المحراث ، وخذ معك دنانير ودرهم ، فإن كان معه خبز فخذ
وأعطه .

ويروي الطبري إلقاء القبض على بَابَكَ قائلاً :

كان للمحراث شريك ذهب لحاجته ، فعندما نزل الغلام إلى
المحراث ، رأى الشريك من بعيد ، كيف أخذ الخبز ، فظنّ أنّا اغتصبه
الغلام من المحراث ، ولم يخطر بباله أنّه أعطاه ثمنه ، فعدا إلى جند ،
فأعلمهم أن رجلاً جاءهم ، عليه سيف وسلاح ، وأنه أخذ خبز شريكه
من الوادي ، فركب رئيس الجند ، ووجه إلى سهل بن سُنْبَاط - والي
المنطقة^(٢) - بالخبر ، فركب ابن سُنْبَاط وجماعة معه ، حتّى جاءه
مسرّعاً ، فوافى المحراث والغلام عنده ، فقال له : ما هذا ؟ فأجاب

(١) الطبري ٤٧/٩

(٢) في البداية والنهاية ٢٨٣/١٠ : « نائب للخليفة يقال له : سهل بن سُنْبَاط » .

الحراث : هذا رجل مرّ بي ، فطلب منّي خبزاً فأعطيته ، فقال للغلام : وأين مولاك ؟ فأجاب الغلام : هاهنا ، وأوماً إليه ، فاتّبعه ابن سُنباط فأدركه ، فلما رأى وجهه عرفه ، فترجّل له ابن سُنباط عن دابته ، ودنا منه فقبّل يده ، ثم قال له - وأراد أن يعمّي عليه - : يا سيّده ، إلى أين ؟ قال بَابَك : أريد أن أدخل بلاد الرُّوم ، فقال ابن سُنباط : إلى عند من تذهب أحرز من حصني ، وأنا غلامك وفي خدمتك ؟ لن تجد موضعاً ولا أحداً أعرف بحقّك ، ولا أحقّ أن تكون عنده مني ، تعرف موضعي ، وليس بيني وبين السلطان - يعني المعتصم - عمل ، وكلُّ مَنْ هاهنا من البطارقة إنّما هم أهل بيتك ، قد صار لك منهم أولاد ، [وذلك لأن بَابَك كان إذا علم أن عند بعض البطارقة ابنة أو أختاً جميلة ، وجّه إليه يطلبها ، فإن بعث بها إليه تركه آمناً ، وإلا أسرى إليه فأخذها ونهب ماله ومتاعه وغير ذلك ، وأسره وسار به إلى البذّ أسيراً] .

ثم قال ابن سُنباط لبَابَك : صِرْ عندي في حصني ، فإننا هو منزلك ، وأنا عبدك ، كُنْ فيه شتوتك هذه ، ثم تری رأيك . وكان بَابَك قد أصابه الضرُّ والجهد ، فركن إلى كلام سهل بن سُنباط ، فأقام عنده في حصنه ، وكتب ابن سُنباط إلى الأفشين يعلمه أن بَابَك عنده في حصنه^(١) .

(١) الطبري ٤٧/٩ و ٤٨

وعندما تيقن الأفشين من ذلك ، سَيرَ لبَّابَكَ رجلين ليحضراه ، وأمرهما أن يطيعا وجهات نظر ابن سُنباط . فاتفق ابن سُنباط مع الرَّجلين أن يكنا في موقع محدّد ، وسيخرج هو مع بَابَكَ للصيد ، عندها يأخذانه مقيّداً ؛ قال ابن سُنباط لبَّابَكَ : قد ضجرت من هذا الحصن ، فلو نزلت إلى الصّيد ؛ فوافق ، وخرجوا في اليوم المحدّد ، إلى المكان المحدّد ومعهم بزاة وكلاب .

ولما نزل بَابَكَ من الحصن ، أرسل ابن سُنباط إلى رسوليّ الأفشين ، وأمرهما أن يوافياه ، أحدهما من جانب وادٍ هناك ، والثّاني من الجانب الآخر ، ففعلاً^(١) ؛ لأنّه ما أراد أن يدفعه إليهما مباشرة ، فبينما بَابَكَ وابن سُنباط يتصيّدان ، إذ خرج عليه الرَّجلان ، وأسرا بَابَكَ وقيّداه ، فقال لابن سُنباط : قبّحك الله ، فهلا طلبت مني من المال ماشئت ، كنت أعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء^(٢) .

وأحضر الرَّجلان بَابَكَ بحراسة دقيقة ، خوفاً أن يقتله إنسان ، أو يجرّحه ، ممن قتل أهله ، أو أصابه ظلمةٌ وحيفٌ ، وعندما وصل إلى الأفشين^(٣) سجنه ، وكتب إلى المعتصم بذلك^(٤) ، فكتب المعتصم إليه

(١) الكامل في التّاريخ ٢٤٤/٥

(٢) البداية والنهاية ٢٨٤/١٠

(٣) في الكامل في التّاريخ ٢٤٥/٥ : وصل إلى الأفشين في ١٠ شوال ٢٢٢ هـ .

(٤) استخدم حمام الزّاجل مابين الأفشين وهو في أذربيجان ، والمعتصم في سامراء .

يأمره بالقدوم به عليه ، ومن عظم فرح المعتصم وعنايته واهتمامه بأمر بابك ، رتب البريد من سامراء إلى الأفشين ، بحيث أن الخبر كان يأتيه من مسيرة شهر في أربعة أيام^(١) ، الخيل المضرة على رأس كل فرسخ^(٢) أو فرسخين ، فيعدو الفارس بالخيول حتى يؤديه لمن يليه وهكذا .. » وكانت أخباره تفد إلى المعتصم في كل يوم من شدة اعتناء المعتصم بأمر بابك^(٣) .

ولما أراد الأفشين أن يسير ببابك إلى سامراء ، قال له : إنني أريد أن أسافر بك ، فانظر ماتشتهي من بلاد أذربيجان . فقال : أشتهي أن أنظر إلى مدينتي « البذ » ، فوجه الأفشين معه قوماً إلى البذ ، حتى دار بالمدينة وما حولها^(٤) .

وكان وصول الأفشين ببابك إلى سامراء في ٣ صفر سنة ٢٢٣ هـ^(٥) ، وفي دار العامة ، أتاه أحمد بن أبي دؤاد - قاضي القضاة - متكرراً فنظر إلى بابك وكلمه ، ورجع إلى المعتصم فوصفه له ، فأتاه

(١) النجوم الزاهرة ٢/٢٣٧

(٢) الفرسخ الشرعي = ٥٥٤٤ م ، « كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان » ص ٨٩

(٣) البداية والنهاية ١٠/٢٨٤

(٤) الطبري ٩/٥١

(٥) في دائرة المعارف الإسلامية ٣/٢٤٦ : دخل سامراء في ٣ كانون الثاني (يناير) ٨٢٨ م = ٢ صفر ٢٢٣ هـ .

المعتصم أيضاً متنكراً فرآه^(١) ، ثم أمر أن يهيئوا فيلاً ، ويخضبوا أطرافه ويلبسوه من الحرير والأقنعة التي تليق به شيئاً كثيراً .

وأدخل بابك على الفيل ليراه الناس كافة ، وليشهر أمره ويعرفوه ، قال محمد بن عبد الملك الزيات :

قَدْ خُضِبَ الْفِيلُ كَعَادَتِهِ يَحْمِلُ شَيْطَانِ خُرَاسَانَ
وَالْفِيلُ لَا تُخْضَبُ أَعْضَاؤُهُ إِلَّا لَذِي شَأْنٍ مِنَ الشَّانِ^(٢)

فأمر المعتصم أن تقطع يده ورجلاه ، فلما قطعت يده مسح بالدم على وجهه حتى لا يرى أحد أن وجهه أصفر خيفة من القتل^(٣) . ثم ذبح وشق بطنه ، ووجّه برأسه إلى خراسان ليطمئن الناس ويأمنوا ، وصلب بدنه بسامراء ، وسيّر أخاه إلى بغداد ، وأمر بضرب عنقه ، وأن يفعل به مثل ما فعل بأخيه .

وقدّم المعتصم صلة كبيرة إكراماً للأفشين .

ودليل أهمية هذه الحركة ، وما لاقاه الناس منها :

١ - غلب بابك من القوادر : يحيى بن معاذ ، وعيسى بن محمد بن

(١) البداية والنهاية ٢٨٤/١٠ ، الكامل في التاريخ ٢٤٦/٥ ، الطبري ٥٤/٩

(٢) البداية والنهاية ٢٨٤/١٠ ، ابن خلدون ٢٦٢/٣

(٣) النجوم الزاهرة ٢٣٨/٢

أبي خالد ، وأحمد بن الجنيد وأسرهم ، وزريق بن علي بن صدقة ،
ومحمد بن حميد الطوسي ، وإبراهيم بن الليث .

٢ - إنفاق الدولة الضخم على هذه الحرب ؛ فكان المعتصم - سوى
الأرزاق والعتاد .. - يقدم للأفشين كل يوم يركب فيه عشرة آلاف
درهم ، وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف .

٣ - وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة ٢٥٠,٠٠٠
إنسان^(١) .



يقول هيوار Cl. Huart كاتب مادة بابك في دائرة المعارف
الإسلامية (٢٤٦/٣) : « ولم يعبأ المعتصم بكتاب الأمان الذي كان قد
بعث به إلى بابك » ، وهذا يدل على حقد كثير من المستشرقين عند
كتابة تاريخنا العربي الإسلامي لأن هيوار لا ينقصه العلم بأن بابك
رفض الأمان ، وامتنع عن قبوله ، وقتل بعض من حمل الأمان إليه ،
وبذلك يكون صواب عبارة هيوار : ولم يعبأ بابك بكتاب الأمان
الذي كان قد بعث به إليه المعتصم !! فلقني جزاء عمله .



(١) في الطبري ، والكامل في التاريخ : مئتا ألف وخمسة وخمسون ألفاً وخمسون مئة إنسان ، وفي
ابن خلدون ٢٦٢/٣ : ١٥٥ ألفاً فقط .

عَمُورِيَّة

أسبابها

☆ بَابَكَ الْخُرْمِي لَتِيَوْقِيل مَلِك
الرُّوم : إِنْ الْمَعْتَصِم قَدْ وَجَّهَ عَسَاكِرَهُ
وَمَقَاتَلْتَهُ إِلَيَّ ، حَتَّى وَجَّهَ خِيَّاطَهُ
وَطَبَّأَخَهُ ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى بَابِهِ أَحَدٌ ،
فَإِنْ أَرَدْتَ الْخُرُوجَ إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ فِي
وَجْهِكَ أَحَدٌ يَمْنَعُكَ .

كتب بَابَكَ إِلَى حَلِيفِهِ تِيَوْقِيلَ بْنِ مِيخَائِيلَ بْنِ جُورْجِسَ ، مَلِكِ
الرُّومِ الْبِيزَنْطِيِّينَ ، عِنْدَمَا ضَيَّقَ عَلَيْهِ الْأَفْشِينَ ، قَائِلًا :

« إِنْ مَلِكُ الْعَرَبِ - الْمَعْتَصِم - قَدْ جَهَّزَ إِلَيَّ جُمْهُورَ جَيْشِهِ ، وَلَمْ
يَبْقَ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْغَنِيَةَ فَانْهَضْ
سَرِيعًا إِلَى مَا حَوْلَكَ مِنْ بِلَادِهِ فَخُذْهَا ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ أَحَدًا يَمَانَعُكَ
عَنْهَا » ^(١) ، إِنْ عَسَاكَرُ الْعَرَبِ تَحَاصَرْنِي « فَإِنْ أَرَدْتَ الْخُرُوجَ إِلَيْهِ ،
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي وَجْهِكَ أَحَدٌ يَمْنَعُكَ » ^(٢) . وَطَمَعَ بَابَكَ مِنْ مَكَاتِبَتِهِ

(١) البداية والنهاية ٢٨٥/١٠

(٢) الطبري ٥٦/٩ ، ابن خلدون ٢٦٢/٣ ، الكامل في التاريخ ٢٤٧/٥ ، مروج الذهب ٥٩/٤

هذه ، تحرك تيوقيل ، ولو بمناوشات واشتباكات حدودية ؛ لأن تيوقيل وإمكاناته دون التفكير بهجوم في عمق الخلافة العباسية ، كل ذلك .. للتخفيف عن بابك بعض ما هو فيه ، فلعل المعتصم يأمر بصرف بعض مَنْ يحاصر بابك من جند الخلافة ، ويوجهها إلى تيوقيل ، وأكد بابك أن المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته إليه ، حتى وجه خياطه^(١) وطبّاخه^(٢) ، ولم يبق على بابه أحد ، فإن أردت الخروج إليه ، فليس في وجهك أحد يمنعك ، وظن بابك أن ملك الروم إن تحرك فإنه يكشف عنه بعض ما هو فيه ، ينفذ العساكر إلى مقاتلة الروم ، فخرج تيوقيل في مئة ألف من جنده .

وكان خروج تيوقيل في سنة ٢٢٣ هـ ، ومع أن بدء حرب بابك على يد الأفشين بدأت سنة ٢٢١ هـ ، فإن كتب التاريخ لم تذكر لم تأخر تيوقيل بتلبية طلب بابك قرابة عامين ! ولعل السبب اعتقاد تيوقيل أن حركة بابك بدأت منذ عشرين سنة ، واستطاع بابك خلال هذه المدة قهر الجيوش التي وجهتها بغداد وسامراء إليه ، وما هذه الحرب اليوم إلا حلقة من حلقات هذا النزاع الذي كاد ينتهي لصالح بابك ، لذلك جاء تحرك تيوقيل متأخراً جداً ، بعد دخول البذل وتدميرها ، وبعد يأسه من وصول بابك إليه بعد فراره ،

(١) يعني جعفر بن دينار الخياط .

(٢) يعني ايتاخ طبّاخ المعتصم .

فاستغل تيوقيل احتفالات الخلافة بالنصر والقضاء كلياً على الخُرُمِيَّة ،
فقام بهجومه الخاطف .

انقضَّ تيوقيل على مدينة زِبْطُرَة^(١) ، وأعمل بها السِّيف ، وقتل
الصَّغير والكبير بلا إنسانية ولا رحمة ، وسبي النساء بعد ذبح
أطفالهن ، ثمَّ أغار على مَلْطِيَّة^(٢) ، فأصابها على يد تيوقيل وجنده
مأصاب زِبْطُرَة ، فضجَّ المسلمون في مناطق الثُّغور كلّها ، واستغاثوا
في المساجد والطرقات ، ودخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم ،
وأنشده قصيدة يذكر فيها مانزل بزبطرة وملطية والثغور ، ويحضه
على الانتقام ، ويحثُّه على الجهاد ، منها :

يا غارةَ الله^(٣) قد عاينتِ فانتَهكي هتكِ النساءِ وما منهن يتركب
هَبِ الرِّجال على إجرامها قُتِلَتْ ما بالُ أطفاليها بالذَّبْحِ تُنْتَهَبُ
وفي ابن خلدون ٢٦٢/٣ : « وبلغ الخبر إلى المعتصم فاستعظمه ،
وبلغه أن هاشميَّة صاحت وهي في أيدي الرُّوم : وامعتصماه ، فأجاب

(١) زِبْطُرَة : مدينة بين ملطية وسميثاط والحدث في طرف بلد الروم « أي منطقة الثغور
الشاميَّة » ، معجم البلدان ١٣٠/٣

(٢) مَلْطِيَّة : بلدة في الثغور الشمالية في آسية الصغرى « بلدة من بلاد الرُّوم مشهورة مذكورة
تتأخم الشام وهي للمسلمين » معجم البلدان ١٩٢/٥

(٣) في الرُّوض المعطار (ص ٢٨٥) :

يا غيرة الله قد عاينتِ فانتقمي تلكِ النساءِ وما منهن يتركب
وفي مروج الذهب ٦٠/٤ : وإبراهيم بن المهدي أوَّل من قال في شعره : يا غارة الله .

وهو على سريرته : لبيك لبيك ، ونادى بالنفير العام ، ونهض من
ساعته .

وفي الكامل في التاريخ ٢٤٧/٥ : « وبلغه أن امرأة هاشمية
صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم : وامعتصماه ، فأجابها وهو جالس
على سريرته : لبيك لبيك ، ونهض من ساعته ، وصاح في قصره :
النفير النفير »^(١) .

(١) في الدراسات الحديثة أبحاث علمية عن عالم الروح ، ففي كتاب « العالم غير المنظور »
للدكتور علي عبد الجليل راضي ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، وبعد شرح « الجلاء
البصري » ص ١٥٧ ، وضّح « الجلاء السّمي » وهو أن يسمع إنسان إنساناً آخر عن بعد .
وفي دراسات علم الروح الحديثة أقرّ « الجلاء السّمي » في أمريكا وروسيا وإنكلترا
وفرنسا .. والذي هو التخاطب عن بعد ، وسمّيت هذه الظاهرة « التلباثيا Télèpathié » ،
والتي عرّفت بأنها ظاهرة نفسية لم يعترف بحقيقتها جميع العلماء ، تقوم على الاتصال بين
النفوس وإن كانت بعيدة ، وذلك بوسائل غير الوسائل الحسية المعلومة .
« والتلستزيا Télèsthésic » ظاهرة نفسية شبيهة بظاهرة التلباثيا ، إلا أنها لا تقوم على
الاتصال بين نفس ونفس ، بل تقوم على الاتصال بين النفس المدركة وأحد الأحداث المادية
على بعد المسافة بينها وبينه .

وفي أسد الغابة ٢/٢٠٦ أن عمر بن الخطاب كان يخطب على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة
النوّرة ، فعرض له في خطبته أن قال : يا سارية ، الجبل الجبل ، فلما فرغ من صلاته قال
له علي : ما شيء سنح لك في خطبتك ؟ قال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا
فركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرّون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا ، وقد ظفروا ، وإن
جاوزوا هلكوا . فجاء البشير من شمالي شرق العراق بالفتح ، فذكر أن سارية بن زئيم سمع
في ذلك اليوم ، في تلك الساعة ، حين جاوز الجبل ، صوتاً يشبه صوت عمر : يا سارية ،
الجبل الجبل ، قال : فعدلنا إليه ، ففتح الله علينا .

=

والطبري والبداية والنهاية يذكران : « وسبى من المسلمات أكثر من ألف امرأة ، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم^(١) » . فهما بذلك يذكران سبى النساء المسلمات .

أمّا في الرّوض المعطار ص ٢٨٥ فقد ورد برواية تمرّض بدأت بكلمة « ويقال » : إن المعتصم بلغه أن رومياً لطم أسيرة في زبطرة ، فصاحت : وامعتصماه ، فأحفظه ذلك وأغضبه ، فخرج من فوره ، نافراً عليه درّاعة^(٢) من الصوف بيضاء قد تعمّم بعمّة الغزاة . ثم أورد الرّوض المعطار :

لَبَّيْتَ صَوْتاً زَبْطَرِيّاً هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكُرَى وَرَضَابَ الْخَرْدِ الْعُرْبِ
يعني صوت التي صاحت : وامعتصماه .

وفي مآثر الإنافة ٢٢٦/٢ ، أورد القلقشندي الرواية بتمرّض أيضاً : « يُحْكِي » أنّ صاحب عمورية من ملوك الرّوم كانت عنده شريفة من ولد فاطمة رضي الله عنها ، مأسورة في خلافة المعتصم بن

= فمن الممكن أن يكون المعتصم قد سمع صيحة الهاشميّة في حينها بجلاء سمعي ، فأجابها وهو جالس على سريرته : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ .

(١) الأنف : المَنْخَرُ معروف ، والجمع آنفٌ وآنافٌ وأنوف (اللسان : أنف) .

(٢) الدَّرَاعَةُ والمِذْرَعُ : ضرب من الثّياب ، والمِذْرَعَةُ : ضرب آخر ولا تكون إلّا من الصّوف خاصة ، (اللسان : درع) .

الرشيد ، فعذَّبها ، فصاحت الشَّريفة : وامعتصماه ، فقال لها الملك : لا يأتي خلاصك إلَّا على أبلق^(١) ، فبلغ ذلك المعتصم فنَادى في عسكره بركوب الخيل البُلُق ، وخرج وفي مقدِّمة عسكره أربعة آلاف أبلق ، وأتى عمورية وفتحها ، وخلَّص الشَّريفة ، وقال : « اشهدي لي عند جدِّك أني أتيت لخلاصك ، وفي مقدِّمة عسكري أربعة آلاف أبلق » .

وفي شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦٣/٢) : « ومن عجيب ما اتَّفَق له - للمعتصم - أنَّه كان قاعداً في مجلس أنسه والكأس في يده ، فبلغه أن امرأة شريفة في الأسر عند عالج من علوج الرُّوم في عمورية ، وأنَّه لطمها على وجهها يوماً ، فصاحت : وامعتصماه ، فقال لها العالج : « ما يجيء إليك إلَّا على أبلق » ، فختم المعتصم الكأس ، وناولها للسَّاقى ، وقال : لا شربته إلَّا بعد فكِّ الشَّريفة من الأسر وقتل العالج ! ثم نادى في العساكر الحمدية بالرحيل إلى غزو عمورية ، وأمر العسكر أن لا يخرج أحد منهم إلَّا على أبلق ، فخرجوا معه في سبعين ألف أبلق ، فلما فتح الله تعالى عليه بفتح عمورية دخلها ، وهو يقول : لبيك ، لبيك ، وطلب العالج صاحب الأسيرة الشَّريفة ، وضرب عنقه ، وفكَّ قيود الشَّريفة ، وقال للسَّاقى : ائتني بكأسي المختوم ، فكَّ ختمه وشربه ، وقال : الآن طاب شرب

(١) البَلَق : سواد وبياض (اللسان : بلق) .

الشَّراب » ، وختم المؤلف هذه الحادثة بقوله : « سأل الله تعالى
وجزاه خيراً »^(١) .

وفي وفيات الأعيان (٢٣/٢) : « كان المنجّمون حكموا لما خرج
المعتصم إلى الرُّوم بأنّه لا يرجع » .

وفي تاريخ الخلفاء (ص ٣٣٦) : « حكم المنجّمون أن ذلك طالع
نحس ، وأنّه يكسر » .

ومن مجموع هذه الروايات نستنتج الأمور التالية :

١ - قرّر المنجمون المتنبئون أن الوقت غير ملائم - حسبما ترشد
إليه مواقع الكواكب - للقيام بحملة عسكرية ضدّ الرُّوم .

٢ - وأن هناك مئات الأسيرات العربيات ، أسرهن الرُّوم بحملة
خاطفة على الثغور الإسلامية ، صاحت إحداهن مستنجدة
مستصرخة : وامعتصماه .

٣ - يثبت ما سبق من استنتاج قصيدة أبي تمام « السيفُ أصدقُ

(١) ختم المؤلف (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) بهذه العبارة : « سأل الله تعالى »
لشربه الشَّراب ، « وجزاه خيراً » لإنجاده المسلمين في الثغور ، ولا يشترط في الشَّراب أن
يكون مسكراً ، فقد أحلّ أهل العراق نبيذ التمر - وهو لا يسكر - وفتاويهم فيه معروفة
« هارون الرشيد ص ١٣٦ وما بعدها » .

أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ » ، وَالَّتِي سَنُورِدُهَا كَامِلَةً فِي الْخَاتَمَةِ ، وَالَّتِي أُلْقِيَتْ فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ ، بِحُضُورِ الْمُعْتَصِمِ وَحَاشِيَتِهِ وَالصَّفْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِهِ ، حَيْثُ ذَكَرَ فِيهَا أَبُو تَمَامٍ وَأُورِدَ نَبْوَةُ الْمُنْجَمِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ ، وَذَكَرَ أَيْضاً فِي أَحَدِ الْآيَاتِ : « لَبَّيْتَ صَوْتاً زَبَطُورِيّاً .. » ، وَقَالَ الْخَطِيبُ الْتَبْرِيزِيُّ شَارِحَ دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ ^(١) : « زَبَطُورِيٌّ : مُنْسُوبٌ إِلَى زَبَطُورَةٍ ، وَهِيَ بَلَدٌ فَتَحَهُ الرُّومُ ، فَبَلَغَ الْمُعْتَصِمُ فِيمَا قِيلَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهِيَ مُسَبِّئَةٌ : وَامْتَعَتْصَاهُ ! فَنُقِلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ يَرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ مَا فِيهِ ، فَوَضَعَهُ وَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَظَ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ فَتْحِ عُمُورِيَّةٍ شَرَبَ » ^(٢) .



انْتَهَى الْخَبَرُ بِمَا جَرَى فِي الثَّغُورِ إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، فَصَاحَ فِي قَصْرِهِ : النَّفِيرَ ، النَّفِيرَ ، وَأَحْضَرَ الْقَاضِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ إِسْحَاقَ ، وَشُعَيْبَ ^(٣) بْنَ سَهْلٍ ، وَمَعَهَا ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةِ وَعِشْرُونَ ^(٤) رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ ، فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى مَا وَقَفَ مِنْ ضِيَاعٍ ، فَجَعَلَ ثُلُثًا لَوْلَدِهِ ،

(١) دِيْوَانُ أَبِي تَمَامٍ بِشَرْحِ الْخَطِيبِ الْتَبْرِيزِيِّ ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ عَبْدِ عِزَّامٍ ، دَارُ الْمَعَارِفِ ١٩٦٤ ، الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ، صَفْحَةُ ٤٠ وَمَا بَعْدَهَا .

(٢) دِيْوَانُ أَبِي تَمَامٍ (الْمَرْجِعُ السَّابِقُ) ٦١/١

(٣) الْكَامِلُ فِي التَّأْرِيخِ ٢٤٧/٥ : شُعْبَةُ بْنُ سَهْلٍ .

(٤) ابْنُ خُلْدُونِ ٢٦٢/٣ : وَمَعَهَا ٢٣٠ مِنَ الْعُدُولِ .

وثلثاً لله ، وثلثاً لمواليه ، وذلك يوم الاثنين ٢ جمادى الأولى ٢٢٣ هـ ، ووجه عَجِيفَ بن عنبسة ، وعمراً بن أربخا الفرغاني ، ومحمد كوتاه ، وجماعة من القوَّاد بنجدة سريعة إلى زبطرة ، إعانة لأهلها ، فوجدوا ملك الرُّوم قد انصرف إلى بيزنطة ، بعدما فعل ما فعل من تخريب وتحريق وقتل وسي ، فلبثوا في الثغور حتى عاد الناس إلى قراهم واطمأنوا .

وعندما سار المعتصم باتجاه الثغور لتأديب تيوقيل تساءل قائلاً : أيُّ بلاد الرُّوم أَمِنَ وأَحْضَن ؟ فقليل : عُمُورِيَّة^(١) ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام ، وهي عين النَّصْرَانِيَّة وَبُنْكَهَا^(٢) ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية^(٣) ، فسار باتجاهها ، بجهاز عظيم من السَّلاح والعدد وآلات الحصار والنَّفط ، وجعل على مقدمته اشْناس ، ويتلوهُ محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وعلى ميمنته إيتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، وعلى القلب عَجِيفَ بن عنبسة .

(١) عُمُورِيَّة : مشددة الميم والياء أيضاً ، قال الصاغاني : كذا ذكروا ، قال : والقياسُ تخفيف

الياء ، كما جاءت في إرمينية ، (تاج العروس : عمر) .

(٢) البُنْكَ : أصل الشيء وخالصة ، (اللسان : بَنَكَ) .

(٣) الطُّبري : ٥٧/٩ ، ابن خلدون ٢٦٢/٣ ، الكامل في التاريخ ٢٤٧/٥ ، البداية والنهاية

٢٨٦/١٠ ، تاريخ بغداد ٣٤٤/٣

« وما لاشك فيه أنَّ منظر الجيش العربي ، وهو يشقُّ طريقه في صفوف لا نهاية لها في بلاد الأعداء ، كان بالغاً حدَّ العظمة والبهاء ، فكانت الخيالة تسير في المقدِّمة ، وعلى جناحيها النباله ، ثمَّ يأتي بعدهم الرِّجالة الذين كانوا يسرون في صفوف كثيفة بانتظام عجيب ، ويليهم صفوف الجمال المحمَّلة بالعُدَدِ والخيم والعتاد ، ثمَّ يجيء بعدهم المستوصفات الصَّحيَّة والنَّقالات لحمل المرضى والجرحى ، ثمَّ آلات الحرب كالمنجنقات والعرَّادات ، محمَّلة على ظهور الجمال والخيول والبغال ، وهي تسير في المؤخرة »^(١) .

ولما دخل الجيش العربي - الإسلامي ، بقيادة المعتمد ، بلاد الرُّوم^(٢) ، أقام على نهر اللّامِس^(٣) ، بعد أن وصلت الطليعة إلى الموقع المقصود ، وحفرت الخنادق ، فقد كان النُّظام يقضي بالألّا يعسكر الجنود قبل أخذ الحيطه من الهجوم المفاجئ ، فإذا ما وصل الجيش الرئيسي نُصبت الخيام في نظام بديع رائع ، وخططت الشوارع والميادين ، وأقيمت الأسواق ، كما لو كان المعسكر مدينة عامرة ،

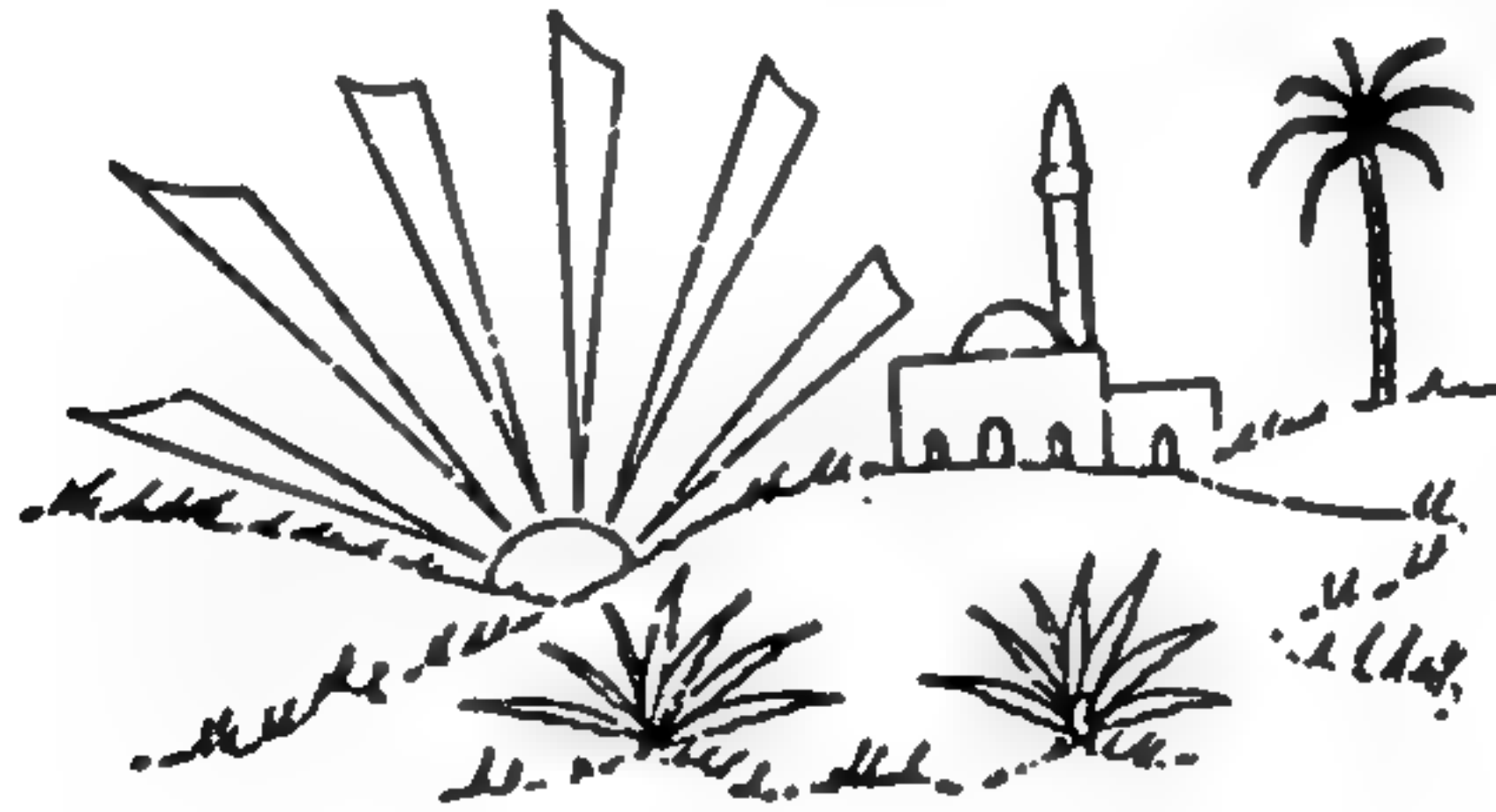
(١) الجيش العربي في عصر الفتوحات ، ص ٢١٥ ، د . إحسان الهندي عن (تاريخ العرب والتدين الإسلامي) لسيد أمير علي .

(٢) كان الجيش العربي يجتاز بصورة عادية مرحلة كاملة يومياً .

(٣) كان نهر اللّامِس الحدّ الفاصل بين الخلافة العباسيَّة والدَّولة البيزنطيَّة في آسية الصغرى (جنوباً) ، على ضفتيه كانت تتمُّ مبادلة الأسرى .

وكانت توزع الأرزاق ، فتوقد المطابخ ، وتنصب عليها القدور ، مع بث مفارز الرصد والدوريات المتحركة ، ويقسمون الجند إلى عدة نوبات ، بحيث يظل قسم منهم جاهزاً دوماً على ظهور الخيل ، لمشاغلة العدو ريثما يستعد الباقيون ، ويضاف إلى كل ذلك أفراد الحرس الداخلي ، الذين كانوا يُفاجئُون في محارسمهم ليلاً ، للتأكد من يقظتهم ، وكان هؤلاء يستلمون الحراسة بالمناوبة ، وكانت نوبة حرس أول الليل أطول من نوبة آخره عادة ^(١) .

ومن ضفاف نهر اللاميس ، سير المعتصم الأفشين شمالاً ، وهدفه أنقرة ، وسير خلفه أشناس ، ثم سار خلفها ، فكان معها قبالة أنقرة في ٢٥ شعبان ٢٢٣ هـ ، ففتحها بسهولة ، اتجه بعدها إلى عمورية .



(١) « الجيش العربي في عصر الفتوحات » د . إحسان الهندي ، ص ٢١٨ ، وعرف الجيش العربي المسلم « كلمة الليل » - كلمة السر - للتعارف ليلاً .

فَتْحُ عَمُورِيَّةَ

☆ لقد سقطت عمورية بعد أهم
معركة عربية استخدمت فيها أدوات
الحصار الضخمة الكبيرة ، كالدبابات
والجنانيق والسّلام والأبراج على
اختلاف أشكالها وأنواعها .

اجتمعت كلّ العساكر بقيادة المعتم عند عمورية ، فركب ودار
حولها دورة كاملة ، وقسمها بين القوّاد ، جاعلاً لكل واحد منهم
أبراجاً من سورها ، وذلك على قدر كثرة أصحابه وقتلهم ، وصار لكل
قائد منهم ما بين البرجَيْن إلى عشرين برجاً^(١)

أمّا أهل عمورية فقد تحصّنوا داخل أسوار مدينتهم ، متّخذين
ما استطاعوا من الحيلة والاحتراز .

وعلم المعتم من عربي متنصر ، تزوّج في عمورية وأقام بها ، أن
موضعاً من المدينة جاءه سيل شديد ، فانهار السور في ذلك الموضع ،

(١) الطبري ٦٣/٩ ، الكامل في التاريخ ٢٤٩/٥ ، ابن خلدون ٢٦٣/٣

فكتب ملك الروم تيوقيل إلى ياطس^(١) ، عامله على عمورية أن يبني ذلك الموضع ويعيد تشييده ، تحسباً لنتائج فعلته في زبطرة والثغور الإسلامية ، فتوانى ياطس في بنائه وترميمه ، وعندما علم أن تيوقيل خرج من القسطنطينية إلى بعض المواقع متفقداً ، تخوّف ياطس أن يمرّ تيوقيل على عمورية فيرى جانباً من سورها لم يرمّم ، وهو الذي أمر بإعادة تشييده ، فوجّه ياطس الصّناع والبنّائين ، فبنوا وجه السور بالحجارة حجراً حجراً ، وتركوا وراءه من جانب المدينة حشواً ، ثمّ عقدوا فوقه الشّرف ، فبدا كما كان .

ولما علم المعتصم بذلك ، أمر بضرب خيمته تجاه هذا الموضع ، ونصب المجانيق عليه .

بدأت المجانيق الضخمة - مع آلات الحصار الأخرى - تعمل عملها ، فانفرج السور من ذلك الموضع ، فلما رأى أهل عمورية انفراج السور ، دَعَمُوهُ بالأخشاب الضخمة ، كلُّ واحدة إلى جانب الأخرى ، لا فرجة بينهما ، فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسّر ،

(١) هو في الطبري ياطس فثبتنا اسمه كما ورد في الطبري ، وهو في الكامل في التّاريخ ٢٤٩/٥ : ناطس ، وعند اليعقوبي ٤٧٦/٢ : ياطس (كالطبري) ، وفي البداية والنهاية ٢٨٨/١٠ : مناطس ، وفي الرّوض المعطار ص ٢٨٥ : باطس (باطيش) . وفي ابن خلدون ٣٦٢/٣ : باطيس .

فيهـرع المحاصـرون لتدعيم السـور بأخشـاب ضخمة جديدة ، ليحموا السـور من الانهيار .

وعندما تـوالت قذائف المجانيق على هذا الموضع الواهن ، انصدع السـور ، فكتب ياطس إلى تيوقيـل كتاباً يعلمه فيه بأمر السور ، وخرج الموقف ، وقوة الحصار ، ووجّه الكتاب مع رجل يتقن العربية ، ومعه غلام رومي ، واختيار ياطس لرجل يتقن العربية ، كي لا يكشف أمره عند اجتياز صفوف الحصار ، فإن تحدّث معه عربي مسلم أو سأله ، يجيبه بالعربية كي لا يُشكَّ في أمره .

وأخرج ياطس الرّجلين من صدع^(١) ، لعله مكان مسيل ماء ، فعبرا الخندق الذي يلي السـور ، وخرجا إلى ناحية عمرو الفرغاني ، فلما خرجا من الخندق ، أنكرهما الجند ، فسألوهما : من أين أنتما ؟ فأجابا : نحن من أصحابكم ، نحن منكم جنديان في جيش أمير المؤمنين المعتصم ، فقالوا لهما : من أصحاب من أنتما ؟ فلم يعرفا أحداً من قوّاد أهل العسكر يسميانه لهم ، فأنكروهما ، وجاؤوا بهما إلى المعتصم ، فاستجوبهما ، وفتّشهما ، فوجد معها كتاباً من ياطس إلى تيوقيـل ،

(١) في الطبري ٦٤/٩ : « وأخرجهما من الفصيل فعبرا الخندق » ، وفي اللسان : المفاصل : مفرق ما بين الجبل والسّهـل ، كل موضع ما بين جبلين يجري فيه الماء فهو مَفْصِلٌ ، صدوع في الجبال يسيل منه الماء .

يعلمه فيه أنَّ جند المسلمين أحاطوا بعمورية في جمع كبير ، وقد ضاق به الموضع ، وأنه قد اعتزم على أن يركب ويحمل خاصّة أصحابه على الدّوابّ التي في الحصن ، ويفتح الأبواب ليلاً على حين غرة ويخرج ومن معه ، فيحمل على المسلمين كائناً ما كان بعدها ، أفلت فيه من أفلت ، وأصيب فيه مَنْ أُصيب ، حتّى يتخلّص من الحصار ، مهما كانت النتائج .

وفي صباح اليوم التّالي أمر المعتصم بالرجلين الأسيرين ، فأداروها حول عمورية ليحدّدا مقرّ ياطس ومكان وجوده ، فقالا : ياطس يكون في هذا البرج ^(١) .

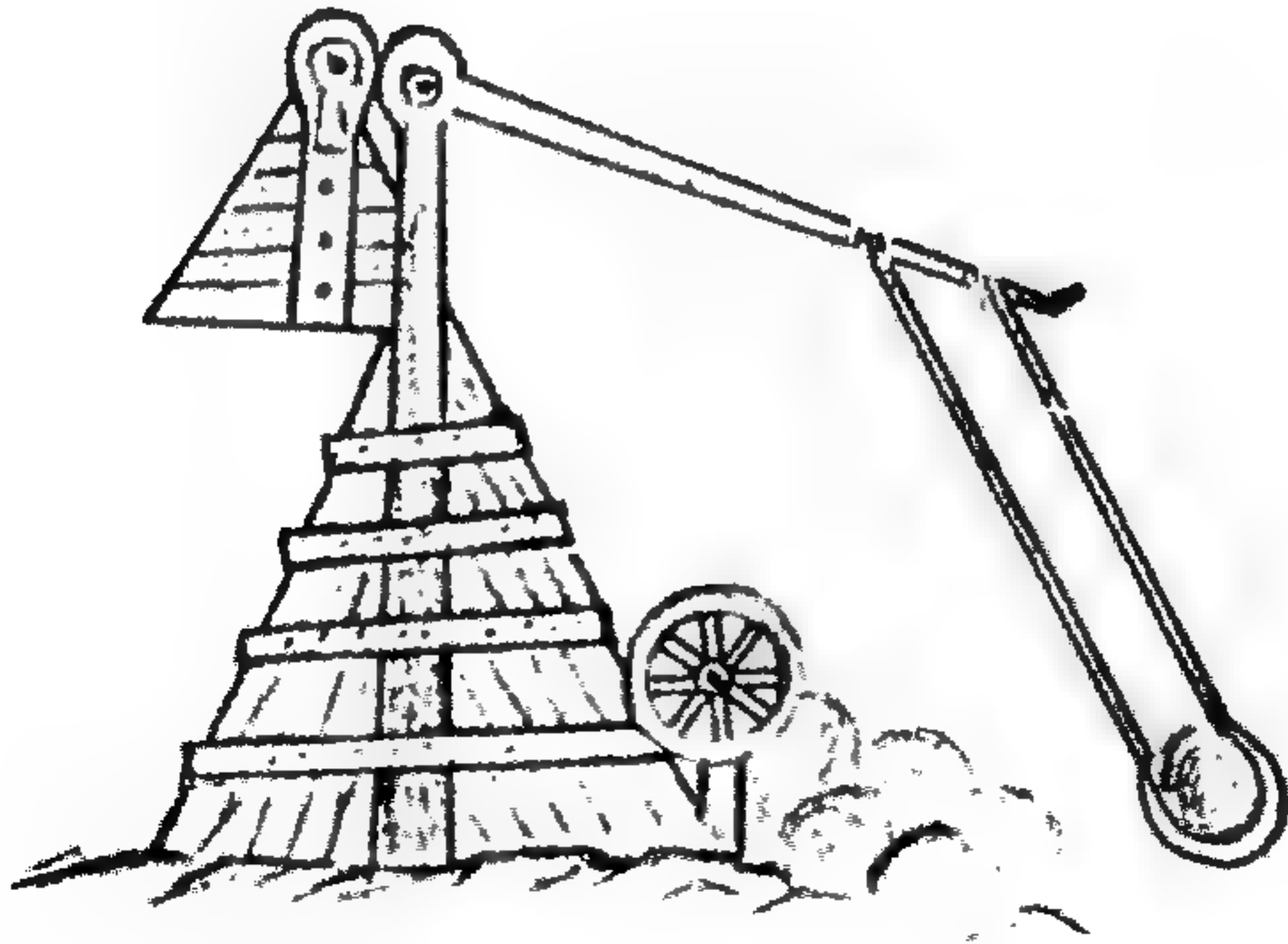
وأمر المعتصم بالاحتياط في الحراسة ليلاً ونهاراً ، وشدّدها ، وأمر أن تكون بين الجند تناوباً ، في كلّ ليلة يحضرها الفرسان ، يبيتون على دوابّهم بكامل أسلحتهم ، تحسّباً من أن يُفتح باب من أبواب عمورية ليلاً ، أو أن يتسلّل من خلالها إنسان ، فلم يزل جند المعتصم يبيتون كذلك بالتناوب على ظهور الدّوابّ في السلاح ، ودوابّهم بسروجها ، حتّى انهدم السّور مابين بُرجَيْن ، من الموضع الذي وصف للمعتصم أنّه لم يحكم عمله ^(٢) .

(١) أسلم الأسيران ، فأكرمهما المعتصم وخلع عليهما .

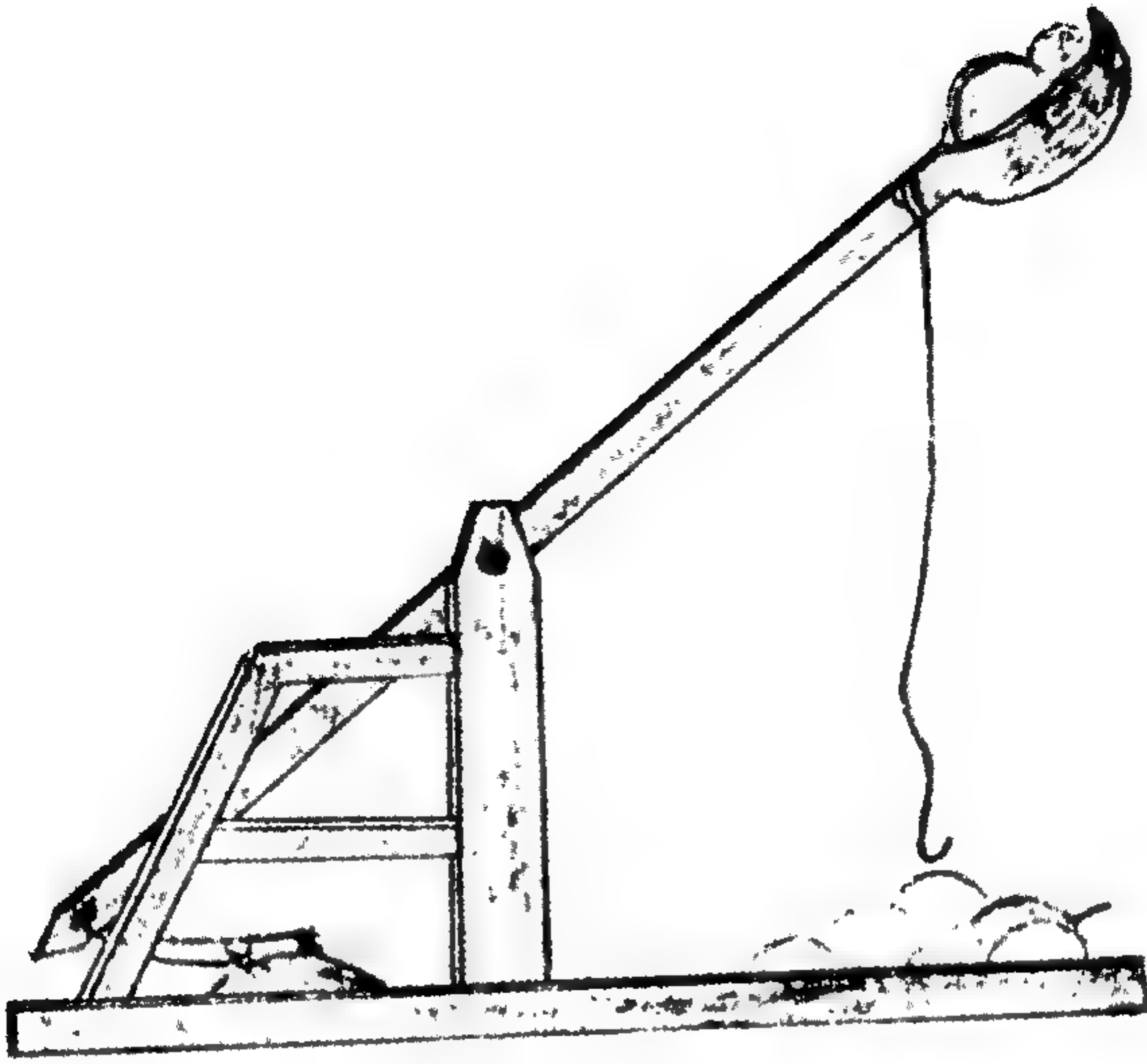
(٢) الطبري ٦٤/٩ ، الكامل في التّاريخ ٢٤٩/٥

ودَوَّى في فضاء عُمُوريَّة صوت اهتزت له جنباتها ، إثر تَهدم
جانب السُّور ، فطاف رجال بالجند المسلمين يبشرونهم أنَّ الصَّوت
الَّذي سَمِعَ ، صوت السُّور قد سقط ، فطيبوا نفساً بالنصر .

لقد فعلت المجانيق فعلتها في السُّور ، وتنبَّه المعتصم إلى سعة
الخنْدق المحيط بعمُوريَّة وطول سورها ، فأمر ببناء مجانيق ضخمة
كبيرة ، يعمل على كلٍّ منجنيق منها أربعة رجال ، وللوصول إلى
السُّور كان لابدُّ من ردم أجزاء من الخندق ، فدفع لكلِّ جندي شاة ،
لينتفع من لحمها ، وليحشو جلدُها تراباً ، ثم جمع « سلاح المهندسين »
الجلود المملوءة تراباً ، وطرحها في الخندق .



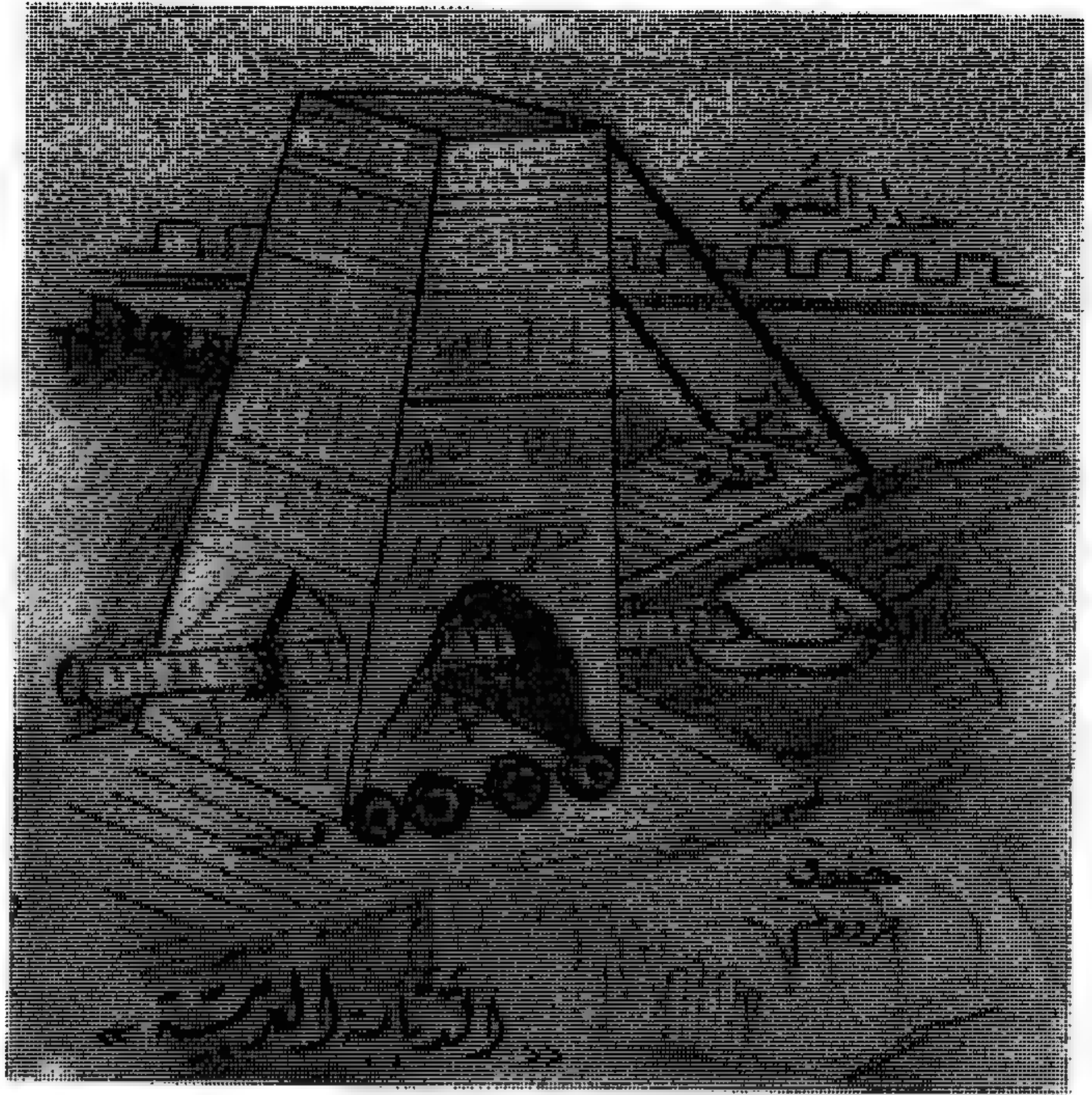
المجانيق المقلاعية ، ويمكنها الدوران ٣٦٠° (دورة كاملة)
قبل رمي المقدوف



رَمْيُ الأحجار « مقتبس عن جامع التواريخ لرشيد الدين »

كما أمر المعتصم مفارز الفَعْلَة بأن تردم جوانب من الخندق المحيط
بسور عُمُورِيَّة ، مستفيدة من جلود الغنم المملوءة تراباً ، كي يُمْكِن
الدَّبَّابَات^(١) من الوصول إلى السُّور ، وكَلَّف مفارز من الرِّجَال بحماية
العاملين وبردَم الخندق ، وحماية العاملين في الدَّبَّابَات أثناء قيامها
بالواجبات المترتبة على كُلِّ منها .

(١) الدَّبَّابَة : برج من الخشب مغلَّف باللُّبُود والجلود المنقوعة في الخَلْ ، ومُثَبَّت على قاعدة خشبيَّة
لها عجلات (انظر الصورة) ، عمل المعتصم منها دبابات كبيرة تسع كُلَّ دبابة عشرة رجال .



وطرح العاملون من الفَعْلَة الجلود ، فلم تقع مستوية منضدة ،
بسبب تكثيف الروم رميهم الحجارة على العاملين بردم الخندق ،
فجاءت الجلود في الخندق غير مستوية ، فطرحوا فوقها التراب حتى
أصبحت مستوية .

وفي صباح يوم جديد من الحصار بدأ القتال على الثُّلَمَة الَّتِي
فُتِحَتْ فِي السُّور ، ولكن الموضع كان ضيقاً ، لم يمكنهم من اختراق

الثُّلْمَةُ ، فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التي كانت متفرقة حول السُّور ، فجمع بعضها إلى بعض ، وجعلها تجاه الثُّلْمَةِ ، وأمر أن يُرمى ذلك الموضع لتتسع الثُّلْمَةُ ، ويسهل العبور ، وبقي الرَّمي ثلاثة أيَّام « فاتَّسع لهم الموضع المنثم »^(١) . واستخدمت أكباش الدبابات أيضاً (انظر كبش الدبابة في الشكل) لتوسيع الثُّلْمَةِ ، ففي عموريَّة جرت أهم معركة عربية استخدمت فيها الدبابات استخداماً جيداً ، وعمل فيها « سلاح المهندسين » عملاً يشهد بتقدُّم مستوى هذا السلاح في بناء المجانيق والدبابات ، وفي تسهيل عملها قبل الحرب وأثناءها .

أمَّا حال الرُّوم داخل عموريَّة ، فهي التالي :

تقاسم القواد عندما نزل بهم عسكر المعتصم الأبراج ، لكل قائد وأصحابه عدة أبراج ، وكان الموكل بالموضع الذي انثم من السُّور رجلاً من قواد الرُّوم اسمه « وندوا »^(٢) ، فقاتل وأصحابه قتالاً شديداً بالليل والنَّهار ، والحرب عليه وعلى أصحابه ، ولم يمده ياطس ولا غيره بأحد من الرُّوم ، فلما كان بالليل مضى « وندوا » إلى قومه ، وقال : إنَّ الحرب عليَّ وعلى أصحابي ، ولم يبقَ معي أحد إلاَّ قد جرح ، فصَيَّروا أصحابكم على الثُّلْمَةِ يرمون قليلاً ، وإلاَّ افتضحتم وذهبت المدينة ،

(١) الطبري ٦٧/٩

(٢) في الطبري ٦٧/٩ والكامل في التَّاريخ ٢٥٠/٥ اسمه « وندوا » ، وورد عند ابن خلدون

٢٦٤/٣ : « وبدوا » ، وتفسير « وندوا » في العربيَّة : « ثور » .

فأبوا أن يمدُّوه بأحد ، وقالوا : سَلِمَ السُّور من ناحيتنا ، وليس نسألك أن تمدنا ، فشأنك وناحيتك ، فليس لك عندنا مدد ، فاعتزم « وندوا » وأصحابه على أن يخرجوا إلى المعتصم ، ويسألوه الأمان على أهلهم ، ويسلموا إليه الحصن بما فيه من المتاع والسلاح .

فلما أصبح « وندوا » جعل رجاله على جانبي الثُّمة ، وأمرهم ألاَّ يحاربوا حتَّى يعود إليهم ، وخرج فقال : إنِّي أريد أمير المؤمنين ، فأوصله بعض الجند العرب المسلمين إليه ، في اللَّحظة التي حمل بها المسلمون حتَّى وصلوا إلى طرفي الثُّمة ، ثمَّ دخلوا المدينة ، وسمع « وندوا » صيحات التكبير تتعالى في سماء عُمُورِيَّة ، تبشِّر بالفتح ، فالتفت وضرب بيده إلى لحيته .

المعتصم : مالكَ ؟

وندوا : جئتُ أريد أن أسمع كلامك ، وتسمع كلامي ، ففدرتُ بي .

المعتصم : - مع أن الموقف لا غدر فيه مطلقاً ، فالأبراج الأخرى مازالت تقاتل ، وتقصف المسلمين بالحجارة والسهام - كلُّ شيءٍ تريد أن تقوله ، فهو لك عليّ ، قل ما شئت ، فإنني لست أخالفك .

وندوا : أيُّش لا تخالفني ، وقد دخلوا المدينة ؟!

المعتصم : اضرب بيدك إلى ماشئت فهو لك ، وقل ماشئت فإنني أعطيكه^(١) .

وأعطى المعتصمُ « وندوا » ما أراد ، من أمان له ومن بجهته من الرجال ، ثم ركب حتّى جاء فوق حذاء البرج الذي يقاتل فيه ياطس ، فصاح بعض الجند العرب : يا ياطس ، هذا أمير المؤمنين ، فصاح الرّوم من فوق البرج : ليس ياطس هاهنا ، فغضب المعتصم لكذبهم ، وتوعدّ ، فصاحوا : هذا ياطس ، هذا ياطس ، فصعد جندي^(٢) على أحد السّلام التي هيئت أثناء الحصار ، وقال لياطس : هذا أمير المؤمنين ، فانزل على حكمه ، فخرج ياطس من البرج متقلّداً سيفاً ، حتّى وقف على البرج ، والمعتصم ينظر إليه ، فخلع سيفه من عنقه ، ودفعه إلى الجندي العربي الذي صعد إليه ، ثمّ نزل ياطس ليقف بين يدي المعتصم ، معلناً سقوط عموريّة بيد المعتصم وجنده .

لقد سقطت عموريّة بعد أهمّ معركة عربيّة استخدمت فيها أدوات الحصار الضّخمة الكبيرة ، كالدبابات والمجانيق والسّلام والأبراج على اختلاف أشكالها وأنواعها ، وذلك بعد حصار دام خمسة وخمسين

(١) الطبري ٦٨/٩ ، الكامل في التّاريخ ٢٥٠/٥

(٢) اسمه : حسن ، غلام لأبي سعيد محمد بن يوسف ، « الطّبري ٦٨/٩ » .

يوماً^(١) ، من سادس رمضان إلى أواخر شوال سنة ٢٢٣ هـ .

ثم أمر المعتصم بطرح النار في عمُوريّة من سائر نواحيها ، فأُحرقت وهدمت ، وجاء بياها الرئيسي إلى سامراء ، « وهو باق حتّى الآن ، منصوب على أحد أبواب دار الخلافة ، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر »^(٢) .

وعاد بعدها المعتصم بغنائم كبيرة جداً إلى طرسوس ، ومنها إلى سامراء ، منتصراً ظافراً ، راداً على تيوقيل فعلته^(٣) ، كسراً مخالفه التي تطاولت على زِبْطُرة ، ومستجيباً لصيحة الهاشيّة الحرّة « وامعتصماه » ، جاءها على خيل بُلق ، فخلّصها وقتل الرُومي الذي لطمها ، ثمّ أمر ببناء زِبْطُرة وشحنها بالرجال والعتاد والميرة ، فرامها الرُوم بعد ذلك فلم يقدرُوا عليها .

وازن وليام ميور في كتابه « الخلافة The Caliphate » ، ص ٥١٩ ، بين شفقة المعتصم على الشَّيخ الضَّعيف ، الذي غاص حماره

(١) الطبري ٧٠/٩ ، مآثر الإنافة ٢٢١/١ ، ابن خلدون ٢٦٤/٣ ، الكامل في التاريخ ٢٥٠/٥ ، وفي البداية والنهاية (خطأ) : ٢٥ يوماً .

(٢) تاريخ بغداد ٣٤٤/٣ ، الرُّوض المغطار ٤١٤ ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣١٥/٢٣

(٣) قال ابن خلدون ٢٦٤/٣ : « ولم يزل تيوقيل مُملَكاً على الرُّوم إلى أن هلك سنة ٢٢٩ هـ ، في ولاية الواصل ، ونصبوا ابنه ميخائيل في كفالة أمّه (ندورة) ، فأقامت عليهم ست سنين ، ثمّ اتَّهمها ابنها ميخائيل بقمط من أقماطها وألزمها بيتها سنة ٢٣٣ هـ » .

في الوحل في يوم مطير ، وكيف نزل عن حصانه وهو أمير المؤمنين ، وأخرج الحمار من الطين ، وحمل الشوك فوضعه عليه ، وأمر بإعطاء هذا الشيخ أربعة آلاف درهم ، وبين ما فعله المعتصم في عموريّة التي انتصر فيها على الروم البيزنطيين ، فقال : « ولقد رأى المعتصم من الشرف أن يضحّي بمدينة زاهرة ، يبلغ سكانها مئتي ألف نسمة ، وتقدر ثروتها بالملايين ، ومع ذلك فقد نزل هذا الخليفة عن صهوة جواده ، ولوّث رداءه ، ليخلص شيخاً ضعيفاً ، وقع حماره في حفرة من الطين ، وأيُّ هذه الأفعال قد ذكرها بالسُرور والغبطة حين ناداه مَلِك الموت ؟ » .

وهذه الموازنة منطق كثير من المستشرقين عندما كتبوا تاريخنا ، منطق التحامل والتغافل عن الأسباب التي قادت المعتصم إلى فعلته ، ولو لم يتغافل « وليام ميور » عن مكتبة بَابِك وتيوقيل : « فإن كنت تريد الغنية فانفض سريعاً إلى ما حولك من بلاده - بلاد المعتصم - فخذها ، فإنك لا تجد أحداً يمانعك عنها » ، ولو لم يتغافل أيضاً عما فعله تيوقيل بعدها بأهل زِبْطُرة : « فأسرهم ، وخرّب بلدهم ، وأحرقها ، ومضى من فوره إلى مَلْطِيّة ، فأغار على أهلها ، وعلى أهل حصون من حصون المسلمين ، وسبي من المسلمات أكثر من ألف امرأة ، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وأنافهم » ، فلو لم يتغافل « ميور » عن هذا ، لعلم أن

ما فعله المعتصم « معاملة بالمثل » تماماً ، وردّ على غدر تيوقيل وتحدياته من جنس عمله ، وأنّه قابل ملاك الموت بالوجه الذي قابله به تيوقيل ، ولكن بفارق :

أن تيوقيل كان المعتدي الغادر ، بينما ردّ المعتصم على الاعتداء والتّطاول .

وأن تيوقيل لم يُذكر في التّاريخ بعمل فيه صفات الرّحمة والشفقة ، بينما سجّل التّاريخ للمعتصم موقفه الإنساني الرّحيم ، عندما أنقذ الشيخ الهرم من مأزقه .

وأن تيوقيل ساق قومه البيزنطيين إلى نصر سريع خاطف غادر ، لم يقدر عواقبه ، مستغلاً وجود جيوش المسلمين حول البَدْ ، يحاصرون بابك ، بينما قاد المعتصم قومه المسلمين إلى نصر حقيقي متكامل .

فتيوقيل قابل ملاك الموت بغدره ورعونته .

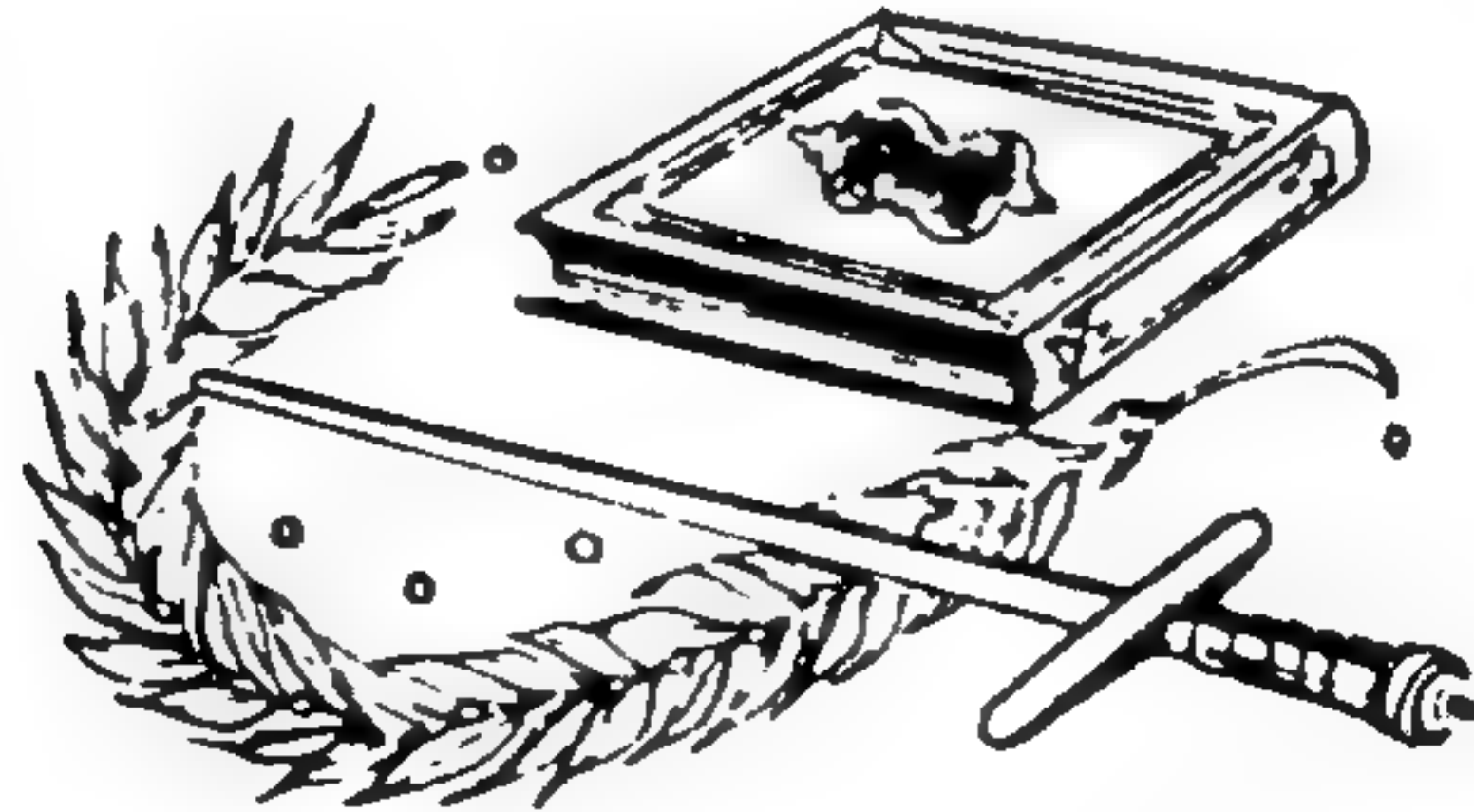
وقابل المعتصم ملاك الموت بتأديبه للغادر ، وبوضعه حداً لرعونته ، مع إنسانيّة ورحمة في كثيرٍ من أعماله .

و « ميور » يذكّرنا بأمثاله من المستشرقين الحاقدين المتعصّبين ..

فيوليوس فلهاوزن ، في معرض حديثه عن اليهود ، يقول :
« حاول محمد أن يظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد » ، مع أنهم
فعلاً نكثوا العهد بإقرارهم .

وداقيد صموئيل رجليوث ، يقول عن غزوة خيبر : « لم يرتكب
أهلها في حقّه - في حق رسول الله ﷺ - ولا في حق أتباعه خطأ
يعتبر تعدّياً منهم جميعاً » ، مع أن وفدهم برئاسة حَيٍّ بن أخطب ،
جعل لغطفان ، تحريضاً على الخروج لقتال المسلمين ، نصف تمر
خيبر .

هذا - وأمثاله كثير - أسلوب الحاقدين على تاريخنا العربي -
الإسلامي ، يتغافلون عن الأحداث ، وينسون الأسباب ، وَيَزِنُونَ
الأمور وإيهامهم على إحدى كفتي الميزان ، ثمَّ يقدمون أحكاماً يظنون
بعدها أن الحقيقة فيما يكتبون ، والصّواب والعلم فيما يستنتجون .



خاتمة^{١٥}

☆ كَرَّرَ أبو تمام إلقاء قصيدته
ثلاثة أيام أمام المعتصم ، حتى قال له
المعتصم : لِمَ تجلو علينا عجوزك ؟
ويجيب أبو تمام : حتَّى أستوفي مهرها
يا أمير المؤمنين ، فأمر له عن كل
بيت منها بألف .

ماسبق ، أحداث عموريّة كما سجّلتها كتب التاريخ المعتمدة ،
والقصائد التي سجّلت أحداث المعركة ، يمكن اعتمادها وثائق ثابتة ،
خصوصاً عندما تتوافق نصوصها وما فيها من أحداث ، مع بقية
الشواهد والأحداث التي وردت في المصادر التاريخية . لذلك ، نورد
هنا قصيدة أبي تمام^(١) ، التي كرّر إلقاءها ثلاثة أيّام أمام المعتصم

(١) أبو تمام : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي : [١٨٨ - ٢٣١ هـ = ٨٠٤ - ٨٤٦ م] ، الشاعر
الأديب ، أحد أمراء البيان ، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ، ورحل إلى مصر ،
واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ، ثم ولي بريد
الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفي بها ، كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب
غير القصائد والمقاطيع ، في شعره قوّة وجزالة ، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي
والبحثري ، له تصانيف منها : « فحول الشعراء » ، و « ديوان الحماسة » ، و « مختار أشعار
القبائل » ، [الأعلام ١٦٥/٢] .

وحوله المهئون ، وعلية القوم ، حتى قال له المعتصم : لِمَ تجلو علينا
عجوزك ؟ ويجب أبو تمام : حتّى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين ،
فأمر له بمئة وسبعين ألف درهم ، عن كل بيت منها ألف^(١) .

وهذه هي القصيدة ، كما جاءت في ديوان أبي تمام^(٢) :

١- السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

كان المنجّمون قد حكموا أنّ المعتصم لا يفتح عمورية ، وراسلته
الرّومُ بأنّا نجد في كتبنا أنّه لا تُفتح مدينتنا إلّا في وقت إدراك التين
والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقت شهرٌ يمنعك من المقام بها البرد
والثلج ، فأبى أن ينصرف ، وأكبّ عليها ففتحها فأبطل ما قالوا .

« في حدّه الحدّ » الحدّ الأوّل للسيف ، والحدّ الثاني الذي يفصل
بين الشّيئين .

(١) وفيات الأعيان ٢٣/٢ ، والذي وصلنا من القصيدة واحد وسبعون بيتاً ، فإن كانت هذه
الآيات هي القصيدة كلّها ، فتكون العبارة الأخيرة : « فأمر له بواحد وسبعين ألف درهم ،
عن كل بيت منها ألف » .

(٢) بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزّام ، ذخائر العرب (٥) ، دار المعارف ١٩٦٤ ،
الجزء الأوّل ، من صفحة ٤٠ ، إلى صفحة ٧٤ ، وقد اخترنا من شرح التبريزي بعضه .

٢- بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ فِي

مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

« الصحيفة » : الكتاب ، و « الصفائح » جمع صفيحة وهي الحديدة العريضة ، ويُقال للسيف العريض كذلك .

٣- وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ

بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ

« شهب الأرماح » : أسنتها ، ويعني بـ « السبعة الشُّهْبِ » طوالع الكواكب والنجوم . و « الخميسان » : الجيشان ، ويقال : إنَّ الجيش سُمِّي خميساً في زمانٍ كانت الملوكُ إذا غزت أخذت خُمُسَ الغنية لأنفسها ، فالخميس إذاً في معنى الخموس ، من قولهم : خَمَّسْتُ القومَ ، إذا أخذت خُمُسَ أموالهم ^(١) .

٤- أَيْنَ الرُّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا

صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ

أصل « الزُّخْرَفِ » ما يعجبك من متاع الدنيا ، وربما خُصَّ به الذهب .

(١) والأصح : قُسم الجيش إلى : قلب ، وميمنة ، وميسرة ، ومقدِّمة ، وساقة ، ومن هنا جاء اسم « الخميس » للجيش ، أي خمس قطع .

٥- تَخْرُصاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً

لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُذَّتْ وَلَا غَرْبٍ

« التَّخْرُصُ » : التَّكْذِيبُ وَافْتِرَاءُ الْقَوْلِ ، وَ « مُلَفَّقَةٌ » : أَي ضُمَّ
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَيْسَتْ مِنْ شَكْلِ وَاحِدٍ ، وَ « النَّبْعُ » شَجَرٌ صُلْبٌ
يَنْبِتُ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَتَتَّخِذُ مِنْهُ الْقِسِيُّ ، وَإِذَا وُصِفَ الرَّجُلُ
بِالْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ شُبِّهَ بِالنَّبْعِ ، أَي أَنَّهُ صُلْبٌ لَا يُقْدِرُ عَلَى كَسْرِهِ ،
وَ « الْغَرْبُ » شَجَرٌ يَنْبِتُ عَلَى الْأَنْهَارِ لَيْسَتْ لَهُ قُوَّةٌ .

٦- عَجَائِبُ زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً^(١)

عَنْهُمْ فِي صَفَرٍ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبٍ

« صَفَرُ الْأَصْفَارِ » ، عَظُمَ شَأْنُهُ لِأَنَّهُ يُنْتَظَرُ فِيهِ أَمْرٌ شَاقٌّ ، أَي
أَخْبَرُوا أَنَّ أُمُورًا تَظْهَرُ فِي صَفَرٍ أَوْ رَجَبٍ ، وَأَنَّ الْأَيَّامَ تَسْرِعُ فِي
إِظْهَارِهَا .

٧- وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ

إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ^(٢)

(١) وَيُرْوَى « مَجْفَلَةٌ » وَ « مُجَلِّيَّةٌ » ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ : الذَّعْرُ وَالْهَرُوبُ ، وَانْكَشَافُ الْمَوْضِعِ الَّذِي
كَانَ فِيهِ .

(٢) ظَهَرَ مَذْنَبُ هَالِي سَنَةِ ٢٢٣ هـ = ٨٢٧ م ، قَبِيلُ فَتْحِ عَمُورِيَّةٍ ، الَّذِي قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَفِي
هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ عَلَى يَسَارِ الْقِبْلَةِ كَوْكَبٌ فَبَقِيَ يُرَى نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَلَهُ شَبْهُ الذَّنَبِ ،
وَكَانَ طَوِيلًا جَدًّا ، فَهَالِ النَّاسَ ذَلِكَ وَعَظُمَ عَلَيْهِمْ .

« دهياء » أي داهية ، وكانوا قد حكموا أن طلوع ذلك الكوكب الموصوف يكون فتنة عظيمة وتغير أمر في الولايات ، فأنكر الشاعر ذلك من أحكامهم .

٨- وَصَيِّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مَرْتَبَةً

مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ

أي صيِّروا التدبير للنجوم ، ويعني بـ « الأبرج » بروج السماء التي أولها الحَمَلُ وآخرها الحوت . يحكمون في أخبارهم بهذه البروج إذا ورد عليهم خبر في وقت الطالع فيه برج ثابت حَقَّقوه ، وإن كان الطالع برجاً منقلباً لم يحققوه .

٩- يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ

مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبٍ

الفلك مدار النجوم الذي يضمها ، والقُطْبُ كلُّ ما ثبتَ فدار عليه شيء .

١٠- لَوْ بَيَّنْتَ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ

لَمْ تُخَفِ مَاحِلٌ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ

لو بان بهذه البروج أمر قبل موقعه ، لبان أمر هذا الفتح الذي لم يكن فتحاً أجلاً منه .

١١- فَتَحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ

نَظَّمَ مِنْ الشُّعْرِ أَوْ نَثَرَ مِنْ الْخُطَبِ

« فتح الفتوح » يعني به فتح عمورية .

١٢- فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ

وَتَبَرَّزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ

« تفتح أبواب السماء له » أي بالغيث والرحمة ، و « القُشْبِ »

جمع قشيب وهو الجديد .

١٣- يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ انْصَرَفَتْ

مِنْكَ الْمُنَى حَفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ

« حَفْلٌ » جمع حافل ، وهي التي حفل ضرعها باللبن .

١٤- أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ

وَالْمَشْرُكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ فِي صَبَبِ

« الْجَدُّ » هاهنا الحظ ، و « الصَّعْدُ » المكان الذي يُصْعَدُ فيه ،

و « الصَّبَبُ » المكان الذي يُنْصَبُ فيه ، أي يُنْهَدَرُ .

١٥- أُمُّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا

فِدَاءَهَا كُلُّ أُمَّ مِنْهُمْ وَأَبِ

« الأم » أصل الشيء ومعدنه ، فعمورية أمهم تجمعهم وتضمهم كما تضم الأم ولدها ، فلو استطاعوا لاقتدوا خرابها بكل أم لهم ولدتهم وأب .

١٦- وَبَرْزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضَتُهَا

كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبٍ

يقال امرأة برزة إذا كانت تخاطب الرجال ولا تستر منهم ، وزعم قوم أنه يقال للحَيَّة : بَرْزَة ، يقول أبو تمام : هي مع بروزها للنظر قد أعيت كسرى ، وأبو كرب كنية أحد التباينة . ومن ذهب إلى أن البرزة الحَيَّة ، فالمعنى أن هذه البلدة كانت كالمرأة المتخففة التي لا ينظر أحد إليها .

١٧- بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفٌّ حَادِثَةٌ

وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ

إنَّ هذه المدينة لم تفتح قبل هذا الفتح .

١٨- مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ

شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبْ

١٩- حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السَّنِينَ لَهَا

مَخَضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ

حتَّى إذا جمع الله خيرات السنين وأظهرها ، وصارت هذه البلدة
زبدة السنين أتتهم الكربة ، و « الحَقَب » جمع حَقبة وهي السَّنة ،
وقيل الحَقْبَةُ من الدَّهر : برهة غير محدودة ، إلاَّ أنها زمانٌ يطول .

ومعنى البيت : أنَّ هذه المدينة لما أغفلتها السنون حتَّى زادت
وحسُنت فصارت زبدةً أتاهم المعتصم ففتحها .

٢٠- أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً

مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرْبِ

« سادرة » من سَدَرَ العَيْن ، يُقال : سَدِرَتْ عينه إذا أظلمت .

٢١- جَرَى لَهَا الْفَأَلُ بَرْحاً يَوْمَ أَنْقَرَةٍ

إِذْ غَوْدِرَتْ وَحُشَّةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ

أكثر ما يجيء الفأل في معنى الخير ، ويجوز أن يقع على ما كان
من خير وشرٍّ ، وأنقَرَة^(١) : في بلاد الرُّوم ، بلد به قبر امرئ القيس .

٢٢- لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ

كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

يريد بأختها أنقرة ، أي أنها لما خربت وهي أخت عمورية
أعدتها بالجرَب ، والجرَبُ يوصف بالعدوى .

(١) أَنْقَرَة (معجم البلدان ٢٧١/١) . وتروى بضم القاف وكسرهما وفتحها .

٢٣- كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ

قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ

« قاني الذوائب » محرّها ، و « الآني » الحار ، و « سرب » أي

سائل .

٢٤- بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْحِنَاءِ مِنْ دَمِهِ

لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ

أي خُضِبَ شعره بِسُنَّةِ السَّيْفِ ، أي بما سنَّه وحكم به ، لا بسُنَّةِ

الإسلام ، لأنَّ الصحابة والتابعين كانوا يرون من السُّنَّةِ أن يَخْضِبُوا

شعورهم بِالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ وما يجري مجراها من نبات الأرض .

٢٥- لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا

لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ

لقد أحرق المعتصم عُمُورِيَّةً ، فذل صخرها وخشبها للنار .

٢٦- غَادَرْتَ فِيهَا بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى

يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

« غادرت » أي تركت ، و « البهم » أراد به الليل الذي لا ضوءَ

فيه ، و « يَشُلُّهُ » أي يطرده ، يقول : كان ضوء النار يطرد الليلَ

وهو كالإصباح لتوقُّده وتلهُّبه .

٢٧- حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ

عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ

« جلابيب الدُّجَى » يريد جمع جِلْبَاب ، وهو القميص أو الرِّداء ، واستعاره هاهنا للدُّجَى وهو جمع دُجِيَّة ، والدُّجِيَّة : الظلمة

٢٨- ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ

وظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَحِبِ

ضوء النار يُصَيِّرُ الليلَ نهاراً ، وظلمة الدخان تُصَيِّرُ الضحى شَحِباً . والشاحِب : الْمُتَغَيَّر .

٢٩- فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ

وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ

« من ذَا » الأول يعني به لهيبَ النار ، و « ذَا » الثاني يريد به الدُّخَان ، و « أفلت » غَابَتْ ، ووجبت الشمس إذا سقطت في المغرب .

٣٠- تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا

عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءَ مِنْهَا طَاهِرِ جُنْبِ

« تَصَرَّحَ » تَفَعَّلَ من الصَّرِيح وهو الخالص ، أي تكشف الدهر كما يتكشف الغمام عن السماء ، ويعني بـ « طاهر جُنْبِ » أن هذا اليوم

كان مافعل فيه حلاً لأن الغزو مندوب ، فهو طاهر من هذا الوجه

٣١- لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى

بَنِي بَأْهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبٍ

لم يترك منهم من كان بنى بأهله لأنه قتل ، ولم يبق في هؤلاء
عزب لأنهم تزوجوا السبي .

٣٢- مَا رُبْعُ مِئَّةٍ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ

غِيلَانُ أَبْهَى رَبِّي مِنْ رَبِّهَا الْخَرْبِ

ماربّع مئة المعمور الذي أكثر وصف حسنه ذو الرمة بأحسن ربي
من هذا الربع الخرب في عين من فتحها ، وغيلان بن عقبة هو
ذو الرمة ، فكأن المعنى : ماربّع مئة في نفس غيلان أبهى من هذا
الربع الخرب في أعين المسلمين ، و « الربى » جمع ربوة ، وهو المرتفع
من الأرض .

٣٣- وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَذْمِينَ مِنْ خَجَلٍ

أَشْهَى إِلَى نَاطِرٍ مِنْ خَدِّهَا التُّرْبِ

لما شبه عمورية بالمرأة وجعلها بكرة في بعض الأبيات ، حسن أن
يستعير لها خدًا ، و « التُّرْبِ » الذي قد لصق بالتراب .

٣٤- سَاجَةً غَنِيَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ بِهَا

عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَادَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ

« ساجة » : قُبْح ، يقول أبو تمام : خرابٌ عُمُورِيَّةٌ ساجَةٌ عند أهلها ، وقد استغنت عُيُونُنَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بِهَا لِأَنَّهَا تَفُوقُ كُلَّ حُسْنٍ فِي عُيُونِ الْمُسْلِمِينَ الظَّافِرِينَ .

٣٥- وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ

جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ مِنْ سُوءٍ مُنْقَلَبٍ

حُسْنُ الْمُنْقَلَبِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَسُوءُ الْمُنْقَلَبِ كَانَ لِأَعْدَائِهِمْ .

٣٦- لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصَرٍ كَمَنْتُ

لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ

أَي كَانُوا فِي تِلْكَ الْأَعْصَرِ غَافِلِينَ عَمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ .

٣٧- تَذِيرٌ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ

لِللَّهِ مُرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ مُرْتَغِبٌ

« المرتقب » الذي يجعل ما يرقبه بين عينيه كأنه ينظر إليه ، و « مُرْتَغِبٌ » أَي يَرْغَبُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

٣٨- وَمُطْعِمِ النَّصْرِ لَمْ تَكُفَّهُمْ أَسِنَّةً

يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

« مُطْعِمِ النَّصْرِ » يعني المدوح ، « لَمْ تَكُفَّهُمْ » أي لم تثب ، وأصل
الكهَم في السِّيف ، وقد استعير لغيره .

٣٩- لَمْ يَغْزُقُوا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ

إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ

« لَمْ يَنْهَدْ » أي لم ينهض إليه .

٤٠- لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا

مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

« الجحفل » الجيش العظيم ، ويقال : رجلٌ جحفل إذا كان
ضخم الأمر سيِّداً ، يُريدون أنه وحده كأنه جيشٌ لعظم شأنه ،
و « اللَّجِبُ » الصَّخب الكثير الأصوات ، و « الْوَعَى » الحرب ،
وأصله الصَّوْتُ ، ثُمَّ سُمِّيَتِ الْحَرْبُ بِهِ .

٤١- رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيَّهَا فَهَدَّمَهَا

وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصِبِ

أي كان قتالك في الله مستنصراً لدينه ، ولو كان قتالك لغير دين
الله لم تنصر عليهم ، ولم تُصِبْهم .

٤٢- مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا وَاثْقَيْنَ بِهَا

وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَغِيلِ الْأَشْبِ

« أَشْبَوْهَا » صَعَّبُوا أَمْرَهَا ، وَحَقِيقَتُهُ لَفَّفُوا حَوْلَهَا الْجَنْدَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : تَأَشَّبَتِ الْغِيْضَةُ التَّفَّتْ ، أَيِ : مَنَعُوْهَا بِالرَّمَاكِ فَصَارَتْ كَالشَّجَرِ الْمَلْتَفِ بِالْجَمْعِ الْكَثِيرِ .

٤٣- وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعَ صَدَدَ

لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ

« الْمَرْتَعُ » الْمَوْضِعُ الَّذِي تَرْتَعُ فِيهِ الرَّاعِيَّةُ ، وَ « الْكَثَبُ » الْقُرْبُ .

٤٤- أَمَانِيًّا سَلَبَتْهُمْ نَجْعَ هَاجِسِهَا

ظَبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ

يَقُولُ أَبُو تَمَامٍ : كَانَ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ أَمَانِيًّا سَلَبَتْهُمْ تَصْدِيقُهَا ظَبَى السُّيُوفِ ، أَيِ حَدُّهَا ، « وَالهَاجِسُ » مَا يَهْجُسُ فِي الصَّدْرِ مِنْ فِكْرٍ ، وَ « الْقَنَا السُّلْبِ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ جَمْعُ سَلُوبٍ ، كَأَنَّهُ يَسْلُبُ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ سَلَبٍ وَهُوَ الطَّوِيلُ ، يُقَالُ : رُمِحَ سَلَبٌ .

٤٥- إِنَّ الْحَمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ

دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ

يقول : لاتنال لذة الأكل والشرب إلا بالرماح والسيوف ،
وضرب لهذا مثلاً فقال : هُما دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ ، يعني أَنَّ الْحَمَامَيْنِ بِالْبَيْضِ
وَالسُّمْرِ دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ : الْحَيَاةَ بِالماءِ وَالْحَيَاةَ بِالنَّبَاتِ ، إِذْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْهَا
أَوْ مِمَّا يُحْيَاهُمَا ، فَكَأَنَّهُمَا يَسْتَقِيَانِ هَاتَيْنِ كَمَا يَسْتَقِي الدَّلْوَانِ الْمَاءَ .

٤٦- لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ

كَأَسَ الْكَرَى وَرَضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ

« زِبْطَرِيٌّ » منسوبٌ إِلَى زِبْطَرَةَ ، وَهِيَ بِلَدٍ فَتَحَهُ الرُّومُ ، فَبَلَغَ
الْمُعْتَصِمُ فِيمَا قِيلَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهِيَ مَسْبِيَّةٌ :
وَامُعْتَصِمَاهُ ! فَنَقَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْحَدِيثَ وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ يَرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ
مَا فِيهِ ، فَوَضَعَهُ وَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَظَ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ فَتْحِ عَمُورِيَّةَ شَرِبَ ،
وَ« الْخُرْدُ » الْحَيَّاتُ ، وَ« الْعُرْبُ » جَمْعُ عَرُوبٍ وَهِيَ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى
زَوْجِهَا .

٤٧- عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ

بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ

« الثُّغُورُ » الْأَوَّلُ جَمْعُ ثَغْرِ الْعَدُوِّ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُخَافُ أَنْ

يأتي منه ، و « الثغور » الثانية من ثَغَرَ الإنسان ، وأصل « السَّلْسَال »
الماء الصَّافي السهل الدخول في الحَلْق ، و « الحَصِيبُ » الذي فيه
الحَصْبَاء وهو صغار الحَصَى ، وإنما أراد بالسَّلْسَال الرِّيق ، وجعله
حصباً لأنَّ فيه الأسنان ، و « عَدَاكَ » أي صرفك عن بَرْد هذا الرِّيق
في ثغور الحسان ما في قلبك من أمر الثُّغُور الَّتِي أُبِيحَتْ وتمكن العدو
منها .

٤٨- أَجَبْتَهُ مُغَلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا

وَلَمْ أُجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ

السَّيْفِ الصَّلَتْ : المتجرّد .

٤٩- حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشُّرْكِ مُنْعَفِرًا

وَلَمْ تُعْرَجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ

« المنعفر » الملتصق بالتراب وهو العَفْر ، يقول أبو تمام : عمدت
لأعظم شأنِ الروم ولم تُعْرَجْ على ما صغر من الأمور .

٥٠- لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنَ تَوْفَلِسَ

وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةٌ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ

يستعمل « الْحَرْب » في معنى الغضب ، وفي معنى ذهاب المال ،
وتوفلس يعني : تيوقيل .

٥١- غدا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جَرِيَّتَهَا
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو الْتِيَّارِ وَالْحَدَبِ
« الْحَدَبُ » ارتفاع الماء تارةً وانخفاضه .

٥٢- هَيْهَاتَ ! زُعْزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورَ بِهِ
عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبٍ

« زعزعت » حُرَّكت حركة عنيفة ، والهاء في « بِهِ » راجعة على
تيوقيل ، يقول : زعزعت الأرض به عن غزو هذا الملك الذي هو
محتسب للأجر لا مكتسب للمال .

٥٣- لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرِّي بِكَشْرَتِهِ
عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فَقَرَّ إِلَى الذَّهَبِ

يخاطب تيوقيل ، يقول : لم ينفق الذهب الكثير الذي هو أكثر
من الحصى رغبةً فيما تبذله من الذهب ، بل لينتقم منك ، ويقابلتك
بسوء صنيعك أو تُسَلِّم ، و « الْمُرِّي » الزائد ، فقال : أربى عليه إذا
زاد عليه .

٥٤- إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغِيلِ هِمَّتُهَا
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

جعل الممدوح غنياً غير محتاج إلى المال فيخدع به ليكفَّ عن

القتال ، و « الكريهة » الشديدة من كل شيء ، والمراد بها الحرب هنا .

٥٥- وَلَّى وَقَدْ أَجَمَ الْخَطِيءُ مَنْطِقَهُ

بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبٍ

« وَلَّى » يعني تيوقيل ، و « الْخَطِيءُ » الرُّمَحُ منسوبٌ إلى الْخَطِّ ، وهو سيف عُمَان ، و « أَجَمَهُ » أي كان له كاللجام ، و « الصَّخَبُ » أصله كثرة الكلام في الغضب ، وأراد بالصَّخَبِ في البيت وجيب القلب من الفرع .

٥٦- أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى

يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ

« أَحْذَى » في معنى أعطى ، والمعنى : أعطى هذا المنهزمُ صَرْفَ الرَّدَى قَرَابِينَهُ ، و « الْقَرَابِينُ » جلساء الملك ، واحدٌ قُرْبَان ، وقوله : « أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ » يريد أن الهربَ أَنْجَى مَطَايَاهُ .

٥٧- مُوَكَّلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ

مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ

« يُشْرِفُهُ » أي يُشْرِفُ عَلَيْهِ ، والمعنى : أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَعْلُو مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَى الطَّرِيقِ هَلْ فِيهَا مَنْ يَتَّبَعُهُ .

٥٨- إِنَّ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَذَابَ الظَّالِمِ فَقَدْ

أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ

« الظليم » ذَكَرُ النَّعَامِ ، وهم يصفونه بالنَّفَارِ وَالسُّرْعَةِ ،
و « الْجَحْمَةُ » معظم النار ، ومنه الجحيم ، وهذا مثل ضربه لشدة
الحرب واضطرامها ، و « الجاحم » الذي يُسَعِّرُهَا ، يقول : خَلَّفتَ بِهَا
جَيْشَكَ يَقْتُلُونَ مِنْ فِيهَا ، فجعلهم حطباً لنيران الحرب .

٥٩- تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ الشَّرِّ نَضِجَتْ

أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضْجِ الثِّينِ وَالْعِنَبِ

وفي رواية « نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ » .

٦٠- يَا رَبِّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتَثَّ دَابِرُهُمْ

طَابَتْ وَلَوْ ضَمَخَتْ بِالمِسْكِ لَمْ تَطِبْ

« الْحَوْبَاءُ » النَّفْسُ ، و « اجْتَثَّ دَابِرُهُمْ » أي قُطِعَ أَصْلُهُمْ ،
وقيل : استَوْصِلَ آخِرُهُمْ ، والمعنيان متقاربان ، و « التضميخ »
الاطِّلاءُ بِالطَّيِّبِ ، و « طَابَتْ » : من الطَّيِّبِ الَّذِي هُوَ سُرُورُ
النَّفْسِ .

٦١- وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ

حَيَّ الرُّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ

أَيُّ وَرَبٍّ مُغْضَبٍ عَلَى الْكُفْرِ رَدَّهَ الظُّفْرُ بِهِمْ^(١) .

٦٢- وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَجِجٍ

تَجَثُّو الْقِيَامُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكَبِ

« الْمَازِقُ » أَصْلُهُ مِنَ الْأَزَقِ وَهُوَ الضِّيقُ ، وَ « لَجِجٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ :
لَجِجَ فِي الشَّيْءِ إِذَا نَشَبَ فِيهِ فَلَمْ يَخْلُصْ^(٢) .

٦٣- كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ

وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبٍ

« تَحْتَ سَنَاهَا » أَيُّ سَنَا الْحَرْبِ ، وَهُوَ ضَوْؤُهَا ، « مِنْ سَنَا قَمَرٍ »
أَيُّ مِنْ ضَوْءٍ جَارِيَةٍ كَالْقَمَرِ سُبَيْتٌ ، وَ « عَارِضُهَا » أَيُّ عَارِضِ الْحَرْبِ
الَّتِي تَمُطِرُ الْمَنَایَا ، وَقَوْلُهُ : « مِنْ عَارِضِ شَنِبٍ » يَعْنِي عَارِضِ
الْأَسْنَانِ ، يُقَالُ لِلنَّابِ وَالضُّرْسِ الَّذِي يَلِيهِ : عَارِضٌ ، وَالشَّنْبُ : بَرْدُ
الْأَسْنَانِ ، وَيُقَالُ : حَدَّةٌ أَطْرَافُهَا .

(١) ذَكَرَ الْخَارَزْمِيُّ وَجْهَيْنِ لِمَعْنَى الْبَيْتِ : أَحَدُهُمَا مُوَافِقُ لشرح التبريزي ، وَالْآخَرُ هُوَ : يَقُولُ
وَرَبُّ مَلِكٍ عَظِيمٍ مِنْهُمْ كَانَ مَغْضَبًا مَغْتَظًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَوْقَعَتِ السُّيُوفُ بِهِ ، فَأَحْيَتِ رِضَاهُ
مِنْ إِهْلَاكِهَا إِيَّاهُ ، وَأَمَاتَتْ غَضْبَهُ .

(٢) وَيُرْوَى « تَجَثُّو الْكَمَاةَ بِهِ » ، وَالْكَمَاةُ جَمْعُ كَمِيٍّ ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمَى نَفْسَهُ بِالسَّلَاحِ ، وَكَأَنَّهُ
جَمَعَ كَامًا .

٦٤- كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا

إِلَى الْمُخَدَّرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ

« الأسباب » الأشياء التي يتوصل بها إلى غيرها ، و « أسباب الرِّقَاب » يعني مافيهما من العروق ، شَبَّهَهَا بالحبال ، و « المخدرة » ذات الخدر .

٦٥- كَمْ أُحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً

تَهْتَزُّ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبٍ

يريد قُضْبَ الحديد الهندي ، أو قُضْبَ الصَّنَعِ الهنديِّ أو نحو ذلك ، ويقال للسيف الدقيق العَرُض : قضيب وهو ضد الصفيحة ، ويعني بـ « قُضْب » الثانية قدوداً تشبَّه بالقُضْب ، و « كُثْب » جمع كثيب من الرمل ، أي هذه القُضْب في أعجاز مثل الكثب .

٦٦- بَيْضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ

أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَثْرَاباً مِنَ الْحُجْبِ

« انتضيت » سَلَّت ، و « حُجْبُهَا » أغمارها ، و « الْحُجْب » الثاني حجال النساء ، و « أتراب » جمع تَرَب .

٦٧- خَلِيفَةُ اللَّهِ^(١) جَاذَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْهُ

جُرْثُومَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ

جرثومة الشيء أصله .

٦٨- بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا

تُنْـسَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ

٦٩- إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ

مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ

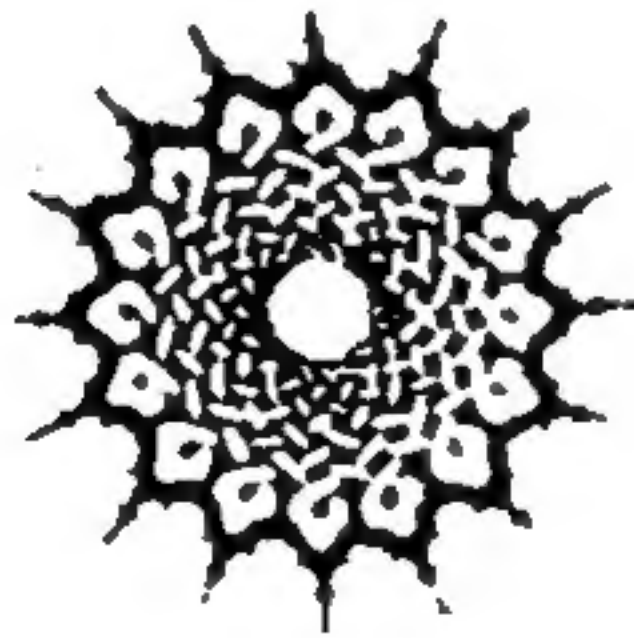
٧٠- فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّائِي نَصِرْتَ بِهَا

وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبُ النَّسَبِ

٧١- أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَأَسْمِهِمْ

صَفَرَ الْوَجْوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْقَرَبِ

« بنو الأصفر » هم الروم .



(١) إضافة تشریف ، مثل : ناقة الله .

المصادر والمراجع

- ١ - الإيضاح والتبيين في معرفة الكيال والميزان ، نجم الدين بن الرضا الأنصاري ،
جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- ٢ - البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف - بيروت
- ٣ - تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب
العربي - بيروت
- ٤ - تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٢ م
- ٥ - تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ، دار العلم للملايين - بيروت
- ٦ - تاريخ الرسل والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، ذخائر العرب : ٢٠ ، دار المعارف
١٩٦٠ م
- ٧ - تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، دار صادر - بيروت
- ٨ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبيد عزّام (ذخائر العرب :
١٥ ، دار المعارف ١٩٦٤ م
- ٩ - الزُّرُوضُ المعطّار في أخبار الأعطّار ، محمد بن عبد القمّ الحلي ، مؤسسة تأسر
للثقافة ١٩٨٠ م
- ١٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحفيظ بن العبد الحنيلي ، دار السيرة -
بيروت
- ١١ - المعبر تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار البيان
- ١٢ - العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، القاهرة ، طبعة ١٣٨٤ هـ /
١٩٦٥ م

- ١٢ - الفخري في الآداب السلطانية ، أحمد بن علي بن طباطبا ، دار صادر - بيروت
- ١٤ - التكميل في التاريخ ، ابن الأثير الجزري ، إيدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ
- ١٥ - كتاب النُوق في أخيار قرهش ، محمد بن حبيب البغدادي ، طبعة الهند - حيدرآباد
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م
- ١٦ - حائر الإنافة في معالم الخلافة ، القلقشندي ، عالم الكتب - بيروت
- ١٧ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ، ابن منظور ، دار الفكر - دمشق ١٤٠٨ هـ /
١٩٨٨ م
- ١٨ - مروج الذهب ومساند الجوهر ، علي بن الحسين بن علي التميمودي ، دار الفكر -
بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م
- ١٩ - معجم البلدان ، شهاب الدين ياقوت الحموي ، دار صادر - بيروت ١٩٨٠ م
- ٢٠ - الملل والنحل ، الشهرستاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٣٨١ هـ /
١٩٦١ م
- ٢١ - النجوم الزاهرة ، يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، المؤسسة المصرية العامة
- ٢٢ - وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، دار صادر - بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

المحتوى

صفحة	
٥	تصدير
٨	المتصم بالله
١٦	تأنيك الحُرْمِي والحُرْمِيَّة
٢١	فتح الهند
٢٨	☆ مصوّر حركة بابك الحُرْمِي
٢٩	نهاية بابك
٢٧	عمورية « أسبانيا »
٤٦	☆ تشكيل الجيش العربي الإسلامي
٤٩	☆ مصوّر الثغور والمواصم وموقع أنقرة وعمورية
٥٠	فتح عمورية
٥٤ - ٥٥	☆ نماذج المجانيق
٥٦	☆ الذبابة العربية
٦٤	خاتمة « قصيدة أبي تمام »
٨٦	المصادر والمراجع

☆☆☆

تم طبع هذا الكتاب بتاريخ ١٠/١٢/١٩٨٨ م
عدد النسخ (٢٠٠٠)